زايد

سيرة حياة

كتـاب فـي دقائـق

زايد

سيرة حياة

مجموعة من الكتّاب

- زايد والتميُّز
- زايد
  وتعليم المرأة في أبوظبي
- بقوَّة الاتحاد
  زايد القائد والدولة
- زايد
  من مدينة العين إلى رئاسة الاتحاد
- زايد
  من التحدّي إلى الاتحاد
- زايد
  ابن الصحراء صانع الحضارة

قنديل | Qindeel

ZAYED

A LIFE

A Group of Authors

زايـد

سيرة حياة

مجموعة من الكتّاب

© 2019 Qindeel printing, publishing & distrubtion

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو نقله على أي نحو، وبأي طريقة، سواء أكانت إلكترونية أم ميكانيكية أم بالتصوير أم بالتسجيل أم خلاف ذلك، إلا بموافقة الناشر على ذلك كتابة مقدماً.

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

موافقة «**المجلس الوطني للإعلام**» في دولة الإمارات العربية المتحدة
رقم: MC-02-01-1987310 تاريخ 2018/10/11

ISBN: 978 - 9948 - 38 - 010 - 8

قـنـديل | Qindeel

للطبـاعـة والنـشر والتـوزيـع
Printing, publishing & Distribution

ص.ب: 47417 شـــارع الشـيخ زايـــد
دبي – دولة الإمارات العربية المتحدة
البريـد الإلكـتروني: info@qindeel.ae
الموقع الإلكتروني: www.qindeel.ae

© **جميع الحقوق محفوظة للناشر** 2019

الطبعة الأولى: كانون الثاني / يناير 2019 م – 1440 هـ

المحتويات

مقدمة 13

زايد والتميز 15

تأليف: عماد الدين حسين

عربيٌّ من الصحراء 17

مسيرة قائد ومرحلة 18

مفاتيح التميُّز في الشخصية 19

تجربة وحدة وبناء 21

محطَّات في رحلة التميُّز 22

1. مرحلة تمثيل الحاكم في العين (1946 ـ 1966) 23

2. مرحلة حكم أبوظبي (1966 ـ 1971) 23

3. مرحلة بناء الدولة وتثبيت القواعد (1971 ـ 1990) 25

4. مرحلة الانطلاق (1991 ـ 2004) 27

5. مرحلة التنافسيَّة الدوليَّة (ما بعد الشيخ زايد) 28

التميُّز وإدارة الدولة 28

أولاً ـ زايد ومفاهيم التميُّز 29

ثانياً: زايد ومعايير التميُّز الرئيسة 31

حاز سموه العديد من الأوسمة والجوائز تقديراً لجهوده الإنسانيَّة 38

بقوة الاتحاد 41

صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان:
القائد والدولة

تأليف: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

التراث..... 43
البيئة الطبيعية: الصحراء..... 44
منظومة القيم في المجتمع القبَلي..... 45
شيخ القبيلة رمز الاتحاد..... 46
زايد بن سلطان في صباه..... 47
ممثّل الحاكم: واقعيَّة زايد وسياسته..... 48
ترسيخ التطور..... 49
بناء أبوظبي جديدة..... 50
الطريق إلى الاتحاد..... 51
الاتحاد مولد الدولة..... 52
الطريق نحو الاتحاد..... 53
إعلان مولد دولة الإمارات العربية المتحدة..... 54
بناء الدولة..... 54
بقوَّة الاتحاد..... 56
المعاصرة والتطوُّر من خلال الشراكة مع الشعب..... 58
الإرث الطيّب..... 59
الإمارات والمستقبل..... 62

زايد من التحدي إلى الاتحاد 63

تأليف: جوينتي ماتيرا

البدايات..... 65
نقطة الانطلاق الأولى..... 66
الشيخ زايد حاكماً لأبوظبي..... 67
المُثل العليا عند زايد..... 68
فلسفة الشيخ زايد في الحكم..... 70
توزيع الثروة والوظائف..... 71
توطين البدو..... 72
دبلوماسية زايد الشخصية..... 72
تطوُّر التعليم في الأعوام الأولى..... 73
توحيد عملات الخليج..... 74
العلاقات بين دول الخليج..... 75
مشكلات جديدة وحلول مبتكرة..... 76
عام 1969 ومشكلاته المالية..... 77
التحدّيات الداخلية والخارجية..... 78
رؤية الشيخ زايد السياسية..... 79
الوحدة بين أبوظبي ودبي..... 80
اتحاد الإمارات العربية..... 81
إنجاز رسالة زايد..... 82
رجلٌ سبق عصره..... 83

زايد وتعليم المرأة في أبو ظبي 85

تأليف: مريم سلطان المزروعي

دور المرأة الاجتماعي قبل الاتحاد..... 87
تعليم المرأة قبل الاتحاد..... 88
تأثير الشيخة سلامة بنت بطّي في فكر الشيخ زايد..... 89
الشيخ زايد والنهوض بتعليم المرأة الإماراتية..... 90
التشريعات الدستورية..... 92
المدارس الحكومية..... 93
البعثات التعليمية الخارجية..... 95
جامعة الإمارات..... 96
كليات التقنية العليا..... 97
جامعة زايد..... 98
الاتحاد النسائي العام..... 99
ثمار جهود الشيخ زايد في تعليم المرأة الإماراتية..... 101
المجال التعليمي..... 101
المجال الاقتصادي..... 102
المجال الثقافي..... 104

زايد
من مدينة العين إلى رئاسة الاتحاد 107

تأليف: راشد عبد الله النعيمي

زايد رجل بادية..... 109
زايد والنهضة..... 110
النقلة الكبرى..... 112

زايد السياسي..... 114
زايد ربُّ أسرة..... 117
الاهتمام بالإنسان..... 119
زايد والدولة الجديدة..... 122
زايد المؤمن بالله..... 125
ختامه مسك..... 127

زايد ابن الصحراء صانع الحضارة **129**

تأليف: د. محمد مرسي عبد الله

جامعة الصحراء..... 131
زايد وموهبة القيادة..... 133
زايد والعمران..... 134
القيادة المبكّرة في العين..... 134
زايد حاكم إمارة أبوظبي..... 136
زايد وقيام الاتحاد..... 137
زايد وبناء دولة الإمارات الحديثة..... 139
1. تغيُّر الفكر السياسي نحو الوحدة..... 139
2. زايد والشورى..... 140
3. زايد وقضية التراث..... 142
4. زايد ونهضة المرأة..... 143
5. زايد والتعليم العالي..... 144
6. زايد والمجتمع الثقافي..... 145
7. زايد الزعيم العربي..... 146
8. استراتيجية زايد وأسلوبه..... 146

9. زايد الأب وصانع الرجال..... 147
10. زايد رجل السياسة الواقعية..... 147
زايد والمستقبل العربي..... 147

مقدمــة

في السادس من مايو عام 1918م كانت مدينة العين على موعد مع ولادة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان.. ذلك التاريخ الذي حُفِرَ في ذاكرة الأيام لقامة من قامات العالم المعدودة، وقائد أسس دولة تتطلع إليها الأمم بالتقدير والاحترام.

وفي عامنا هذا تضيء دولة الإمارات العربية المتحدة على ذكرى غالية على كل إماراتي ومقيم على هذه الأرض الطيبة، لتحتفي بمرور مائة عام على ولادة القائد المؤسس، طيب الله ثراه، في مبادرة أعلنها صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة، حفظه الله، بتسمية عام 2018 «عام زايد»، احتفاءً بالذكرى المئوية لميلاد المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمه الله، وليشهد هذا العام سلسلة من الفعاليات والمبادرات المحلية والعالمية التي تخلِّد ذكرى حكيم العرب وباني نهضة الإمارات، وتمجِّد أثره وإرثه، وترسخ القيم التي غرسها وعمل جاهداً على نشرها؛ فالأيادي البيضاء وبصمات النور للشيخ زايد لم تزل آثارها الوضاءة تمتد لتتجاوز المستوى المحلي إلى العالمية، خيراً وتسامحاً وأملاً في حياة أفضل.

ولم تكن مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة بمنأى عن مبادرات الخير التي تبرز وتضيء على إنجازات الراحل الكبير، رحمه الله. فإسهاماً منها

في ترسيخ مكانة الشيخ زايد في نفوس شعب الإمارات والعالم، ونشر قيمه التي أثمرت صرحاً متيناً لدولة عصرية قوية؛ أعلنت المؤسَّسة إطلاقَ حزمة من المشروعات والمبادرات التي تهدف من خلالها إلى تخليد إرث ومبادئ وقيم الشيخ زايد، كأحد أعظم القادة والشخصيات على مستوى العالم.

وانطلاقاً من قيمة الكتاب في تعزيز ثقافة الأمم وإكسابها المعارف التي ترتقي بها في سلَّم الحضارة، فإنه يسرنا أن نضع بين أيدي قرائنا الكرام هذه المجموعة القيّمة التي تسلط الضوء على حياة مؤسس دولة الإمارات العربية المتحدة، وما بذله في سبيل تحقيق النهضة الشاملة التي عمت أرجاء هذه الأرض، من خلال عدد من الكتب التي تناول كل واحد منها جانباً من جوانب حياة المغفور له الشيخ زايد، الزاخرة بالمواقف والمشاهد التي تستحق تسليط الضوء عليها، ليكون هذا المؤلَّف مشعل نور تستضيء به الأجيال، آخذة سيرة وشمائل حكيم العرب قدوة تنهل منها وتتزود بها لمستقبل مشرق وأيام ملأى بالخير والإنجاز.

جمال بن حويرب

المدير التنفيذي

لمؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

كتاب في دقائق

ملخصات لكتب عالمية تصدر عن
مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

زايد والتميُّز

تأليف:

عماد الدين حسين

الناشر:

وزارة شؤون الرئاسة - الأرشيف الوطني

عربيٌّ من الصحراء

ولد الشيخ زايد في قصر الحصن بأبوظبي عام 1918، وسمِّي باسم جدِّه زايد الكبير تيمُّناً به، وبخاصة أنَّ ملامحه تشبه ملامح جدِّه: الطلعة الحسنة، وبهاء الوجه، والملامح القوية، والعينين حادَّتَي النظرات.

الشيخ زايد سليلُ قبيلةٍ ذاتِ تاريخٍ عريقٍ في المشيَخة وإدارة شؤون الناس، ومع أنَّ المدارسَ النظامية لم تكن موجودةً، فقد حرص والدُه على تعليم أبنائه أصول الدين وتعاليمه، بإرسالهم إلى «كتاتيب» لتعلُّم القراءة والكتابة، لكنَّ خبرة الحياة الحقيقية كانت من خلال حضوره جلسات والده والاستماع إلى ما كان يدور فيها من الأحاديث والمناقشات؛ فكان يستمعُ ويلاحظُ الطريقة التي يتبعها والده في حلِّ المشكلات والخلافات التي تظهر بين القوم، وكان محباً للاطلاع ومهتماً بالظواهر الطبيعية من حوله، وشغوفاً بمعرفة كل جديد.

لم يكن الشيخُ زايد منفصلاً وجدانياً ولا ثقافياً عن البيئة القبليَّة التي نشأ فيها، فقد كان يدركُ جلياً أنَّ «شيوخ آل نهيان يعيشون في الحَضَر

قيـمَ البادية» واستطاع معرفة ذلك برؤيةٍ مركَّبة مفتاحها كلمة «التفهُّم» ومن أقواله:

«إنَّني أعشق الصحراء، وكلَّما أحسست ببعض التعب ذهبت إليها لأستردَّ نشاطي وحيويَّتي، وألتقي إخواني من البدو الذين أحبُّهم من كل قلبي، لأنَّ أفكارَهم ما زالت صافيةً نقيَّة. إنَّهم ما زالوا يتمسَّكون بعاداتهم وتقاليدهم التي تنبع من الأصالة العربية وتعاليم الدين الحنيف، وأنا أشجِّعهم على التمسُّك بهذه العادات لتظلَّ أفكارُهم صافيةً ونقية».

مسيرة قائد ومرحلة

نشأ الشيخ زايد في ظروف صعبة على المستوى الشخصي وعلى مستوى المنطقة. فكان التدهور الاقتصادي الذي أصاب العالم بعد الحرب العالمية الثانية، وأثقل كاهله ولا سيما إنجلترا، والمنازعات والحروب التي قامت بين حكام المنطقة حول قضايا الحدود، وقصر المدة التي كان يقضيها حكام أبوظبي في الحكم بعد وفاة زايد الكبير عام 1909، وتدهور إنتاج اللؤلؤ الذي كان يمثل نحو 80٪ من دخل الإمارة بعد ظهور اللؤلؤ الصناعي من اليابان.

إن الحياة لأهالي أبوظبي لم تتغير أساسياتها البتة في السنوات المئتين منذ استقرار «بني ياس» هناك حتى اكتشاف النفط، لقد ارتفع دخلهم بفضل الشيخ زايد بين ليلة وضحاها عبر تصور واضح وفي مراحل محددة: بدأ بتوفير المسكن الملائم للبدو مع بقاء الاقتصاد الرعوي، ثم وضع قاعدة لخصها بقوله: «يجب أن تنشأ خلف القرية مزارع، لكل بيت مزرعة». وفي المرحلة الثانية يتداخل النمطان: الزراعي والبدوي ليحل الأول محل الثاني بالتدريج.

يقول الشيخ زايد «إننا نبني الآن القرى بجوار المراعي، وننشئ فيها العيادات والمساكن الصحية، والمدارس والمضخات، والحكومة تمنح الأشجار والنخيل والبذور للمزارعين وكذلك الآلات».

وهذا وصف دقيق لعملية استنبات نمط اقتصادي جديد في غير بيئته تاريخياً، وهو إنجاز مركب لا تحققه القوانين وحدها ولا الأموال وحدها، بل يحتاج إلى بصيرة مجتمعية ثاقبة.

من يستعرض تاريخ المنطقة والأوضاع التي كانت سائدة فسيجد أن فرص قيام أي اتحاد فعلي لم تكن كبيرة. وفي أوضاع كهذه تبرز الحاجة إلى زعامة ملهمة تستطيع أن تحول حلم الوحدة إلى حقيقة ملموسة. وما تحلى به الشيخ زايد من طاقة لا تنضب، ومن جرأة وقدرة كبيرتين على العمل والبناء جعلت سيرته قصيدة نجاح متواصل في مواجهة الخيارات الصعبة التي كانت تعترضه، فكانت السمة المميزة لرئاسته هذه الإنجازات الخالدة التي برهنت على حكمته الجديرة بالتقدير، واستطاع أن يغير المسيرة التاريخية لدولة الإمارات تغييراً جذرياً.

مفاتيح التميُّز في الشخصية

لا يمكن حصر السمات المميِّزة للشيخ زايد في هذه الإطلالة السريعة، ولكنَّنا نقف عند الصفات التي ساعدته على تكوين رؤيته الاستراتيجية الخاصة، وحدَّدت أسلوبَه القيادي، ومكَّنَته من إدارة أكبر عملية تغيير معقَّدة في الحجم والهدف، وهي: الانتقال من القبلية إلى الدولة في زمن قياسي، وبأقلِّ قدرٍ من الضرر، والاحتفاظ بالخصائص المميِّزة للقبيلة، والاستفادة القصوى من مزايا الدولة الحديثة، وبناء القدرات الوطنية

للدولـة، وتطويـر مواهـب المواطنيـن وقدراتهـم، وتحقيـق مصالـح الجميـع فـي الداخـل والخـارج، فـي السـلطة وخارجهـا.

ومـن أهـمِّ سـماته القياديـة العظيمـة التـي نرصدهـا هنـا: الإيمـان باللـه، والاعتـزاز بالانتمـاء الدينـي والأصـل القبلـي، والثقـة بالنفـس، والشـجاعة، والتسـامح وسـعة الأفـق، والطمـوح والعزيمـة، والصراحـة المُطلَقـة، والنزاهـة الكاملـة، والتواضـع، والاطـلاع علـى الجديـد، وتقديـر العلـم والعلمـاء، والسـخاء، ووقوفـه مـع الحـقّ مهمـا كانـت العواقـب، والعنايـة بالتفاصيـل.

يلخّـص الشـيخ زايـد فلسـفته فـي الحيـاة التـي ترتكِـز علـى الإيمـان باللـه والاعتمـاد عليـه، سـبحانه وتعالـى، فـي كل خطواتـه بقولـه: «فلسـفتي فـي الحيـاة هـي أنَّنـي مؤمـن بـأنَّ الأمـور كلَّهـا بيـد اللـه، سـبحانه وتعالـى، وأنَّ علـى الإنسـان أن يعمـل مـن وحـي إيمانـه باللـه فـي جـد واجتهـاد، فـإذا وُفّقـت فـي السـعي حمـدت اللـه علـى توفيقـه، وإذا أخطـأت الاجتهـاد عـدت عـن الخطـأ إلـى الصـواب. إنَّ كل شـيء فـي هـذه الحيـاة بـإرادة اللـه سـبحانه وتعالـى، يسـيّر ويدبّـر، وعلـى العبـد أن يسـعى فـي مرضـاة اللـه، وأن يفعـل ويتـوكَّل، وعلـى اللـه التوفيـق، ومتـى كان إيمـان الإنسـان بربّـه قويـاً فـإنَّ اللـه يهبـه راحـة الضميـر، وتلـك هـي السـعادة القصـوى».

والشـيخ زايـد قريـب جـداً مـن الشـعب، وهـو يقـول: «اللقـاء بيـن القائـد والشـعب هـو فـي مفهومـي لقـاء الأب وأبنائـه، وأي ابتعـاد مـن القائـد عـن الشـعب يبعـد عنـه الصـورة الواقعيـة لحاجـات شـعبه، وبذلـك يحصـل النفـور وابتعـاد الشـعب عـن القائـد المغـرور»، ويلخّـص هـذه المعانـي بقولـه: «العمـل الـذي نؤدّيـه لوطننـا هـو خيـر مـا نذهـب بـه إلـى الـدار الآخـرة».

أمَّا عن تواضعه، فمع أنَّه في أثناء حكم أبوظبي كان يُشار إليه في المحافل الدولية على أنَّه «صاحب العظمة» فإنَّ الناس كانوا يخاطبونه في المجالس بـ«زايد حيَّاك الله» دون ألقاب، وكان يقوم من مكانه ويردُّ السلام ويصافح الضيف، دون أن يكون بينه وبين شعبه أي حاجز، فالطريقة التي كان يعامل بها الناس هي الطريقة الدارجة بين أهله من البدو.

يمكن تلخيص رؤية الشيخ زايد في إدارته للثروة النفطية بقوله: «الثروة الوطنية لدولة الإمارات تزداد كل يوم، وآبار البترول تتفجَّر وتحمل معها مزيداً من نعم الله التي يهبُ شعب الإمارات إيَّاها، والله لم يعطِ زايد وحده، وإن كان زايد هو الذي ائتمنه الله على أموال هذه الأمَّة، فهو يحاسب نفسه، وهو أمين على هذه الأموال مع أمَّته، لأنَّ البترول أمانة بين يدي زايد، فهو يتصرَّف فيه من أجل الوطن وشعبه، ومتى أرادت الأمة أمانتها تتسلَّمها كاملة».

لقد حرص الشيخ زايد في خضم التحوُّلات العالمية الكبرى التي شهدها العالم، على أن يحفظ لدولة الإمارات توازنها، وأن يبتعد بها عن المشاركة في التحالفات السياسية.

تجربة وحدة وبناء

تعود فكرة الاتحاد إلى عام 1935، حين ظهرت بعض الآراء تطالب بالاتحاد، ولكن الظروف لم تكن مواتية لعدة أسباب منها: الظروف الاقتصادية المتعثرة لقلة الموارد، والظروف السياسية التي ربطت بعض الإمارات ببريطانيا عبر نظام معاهدات السلام في القرن التاسع عشر، وهو ما منح بريطانيا حقوقاً قانونية للتدخل المباشر في الشؤون الداخلية

لإمارات الساحل العربي (عمان، البحرين، وقطر)، ونشأ في تلك الفترة نظام الوكلاء في الخليج.

تعد الوحدة من المفاتيح الرئيسة لفهم تجربة الشيخ زايد، وتقييمها، ويمكن القول: إن لتجربة الوحدة وجوهاً:

- **أولها**: ما كان يشهده العصر الذي بدأ فيه مسيرته لتوحيد الإمارات المتصالحة من دعوات ومحاولات لوحدة في المحيط العربي نفسه، وأيلولتها جميعاً إلى الفشل، وهو ما يبرر وصف كثير من باحثي العلوم السياسية العرب لتجربة الإمارات بأنها: «التجربة الفيدرالية الوحيدة الناجحة عربياً».
- **ثانيها**: أن ما عرف ـ في الفترة المشار إليها ـ عن فكرة الوحدة كان جله ـ إن لم يكن كله ـ حديثاً ـ إيديولوجياً ـ انتقده الشيخ زايد نفسه، واختار أن يكون لكل الأطراف المعنية بالوحدة ـ مصلحة ـ في قيامها واستمرارها، وأثبتت التجربة صحة رؤاه.
- **ثالثها**: أن أبوظبي كانت تملك من أسباب البقاء والنماء والازدهار ـ كدولة صغيرة ـ ما يجعلها ـ أقل حاجة ـ للوحدة مع الإمارات الأخرى، لكن بصيرة الشيخ زايد السياسية كانت تدفعه إلى اختيار الوحدة باعتبارها مقوماً من مقومات القوة.

محطَّات في رحلة التميُّز

نستعرض هنا أهمَّ المحطَّات الزمنية في رحلة الشيخ زايد مع التميُّز، ويمكن تقسيم الرحلة إلى مراحل فرعية عدَّة:

1. مرحلة تمثيل الحاكم في العين (1946 - 1966)

بدأت مسيرة الشيخ زايد في العين عام 1946، عندما عيَّنه أخوه الشيخ شخبوط آل نهيان ممثّلاً له، وكان في العشرينيات من عمره، واستُقبِل تعيينُه باستحسانٍ واسعٍ من السكَّان، واحتفظ الشيخ زايد بهذا المنصب عشرين عاماً.

أثمرت الجهود التي بذلها في تحويل قرية العين إلى مركز اقتصادي وسياسي وانتشر العمران، وتوسَّعت التجارة بفعل الحوافز التي قدَّمها، وزادت صادرات المنطقة من الخضراوات، وخلقت هجرة المزارعين والتجَّار والحرفيّين إلى الواحة جواً من الأمل والرخاء لم يُعرف له مثيل من قبل، وتمَّ إنشاء مستشفى وسوق جديدة ومحطَّة طاقة وبنكين ومدرسة بإشراف مدرّسين أردنيّين، وبدأ زايد بحفر الأفلاج الجديدة وشارك بنفسه في أعمال الحفر.

2. مرحلة حكم أبوظبي (1966 - 1971)

في عام 1966 بدأت المرحلة الثانية في مسيرة الشيخ زايد القيادية، بقرار أسرة آل نهيان تعيين الشيخ زايد ـ بالإجماع ـ حاكماً لأبوظبي. بدأ زايد ولايته بمزيج من العزم والعمل الجاد، وتسلَّم أول تقرير شامل عن الأوضاع المالية لأبوظبي بعد أيَّام من تولّيه الحكم، وقد أظهر التقرير أنَّ عوائد النفط بلغت آنذاك «سبعين مليون دولار» سنوياً، أمَّا الأرصدة الحكومية فكانت في حدود «أربعين مليون دولار»، وهو رقم هائل إذا أدركنا أنَّ قصر الحكم في أبوظبي كان محاطاً بمواطنين يعانون قساوة الفقر، وهو ما ينطبق على الكثيرين منهم في كل أرجاء الإمارة، وقد

رأى زايد في ذلك خطأً أخلاقياً، فدعا إلى قصره مديري المصرفين: «العثماني»، و«الشرقي» وكانت تودع لديهما بعض حسابات الإمارة، وأمر بسحب أكبر قدر من المال منهما، وقام بتوزيعه على المعوزين مباشرةً.

كان يدرك غياب الاستقرار في المنطقة، وضرورة خلق بنية سياسية متماسكة في أبوظبي، فقد عايش ظاهرة الرحيل الجماعي عن أبوظبي في عهد أخيه الشيخ شخبوط، وقرَّر أن يحوّل اتجاه الهجرة إلى أبوظبي منها، وأن يستعيد الذين تخلَّوا عن ولائهم لآل نهيان، ونجحت هذه الاستراتيجية وعاد الناس إليها أفواجاً.

كانت الوحدة بالنسبة إلى الشيخ زايد هدفاً ووسيلة: فهي غاية تمكّنه من إدراك غاية أكبر منها هي: وجود كيان سياسي كبير قادر على حماية نفسه والتعامل مع حقائق عالم جديد لا مكان فيه إلا للكبار والأقوياء، ويكفي أن نشير إلى مثال واحد لتقدير الأهمية الشديدة للوحدة في تصوُّره وسلوكه معاً، ولإدراك حجم التضحيات التي قدَّمها لإنجازها. يقول الشيخ زايد: «لقد بعثت بخريطة أبوظبي إلى حاكم دبي وطلبت منه أن يرسم بنفسه الحدود التي يريدها لبلاده، وكانت هذه المبادرة في حدّ ذاتها سبباً في الاتفاق السريع الذي وقع بيننا، وحسْم وضع معلَّق منذ زمن».

كانت الثمرة الأولى لسنوات من السعي إلى توحيد «الإمارات المتصالحة» في الثامن عشر من فبراير عام 1968، بإعلان اتفاق بين أبوظبي ودبي رسمياً، أسَّسا بموجبه إمارة لها علم واحد، مع وضع الإطار العام لمخطَّط التعاون المشترك كالسياسة الخارجية والدفاع المشترك، وهكذا وُلِدَت نواة دولة الإمارات التي استكملَت وحدتها سريعاً لتصبح

دولـةً فيدراليـة دسـتورية قائمـة على أسـاس اتحـاد بيـن وحـدات سياسـية هـي الإمـارات السـبع.

3. مرحلة بناء الدولة وتثبيت القواعد (1971- 1990)

كانـت السـنوات مـن 1971 إلـى 1990 فتـرة الانتقـال مـن الحلـم إلـى البنـاء، وكانـت النـواةُ هـي قناعـة الشـيخ زايـد «بأهميـة التنميـة البشـرية كمحـرّك أساسـي لدفـع قاطـرة التنميـة فيهـا»، حيـث ظـلَّ زايـد يؤكِّـد أن لا قيمـة للمبانـي والمنشـآت مـن دون الإنسـان.

الشـرط الموضوعـي الثانـي لنجـاح مشـروع النهضـة كان «البـدء ببنـاء مؤسَّسـات الدولـة»، وبهـذا الإدراك بـدأ الشـيخ زايـد العمـل الفعلـي:

- فـي ديسـمبر 1973، تخلَّـت إمـارة أبوظبـي عـن اسـتقلالها الحكومـي والإداري، ودخلـت فـي العمـل الفيدرالـي، بإلغـاء وزاراتهـا القائمـة وتغييرهـا إلـى دوائـر محليـة، فأنشِـئت الـوزارة الاتحاديـة الثانيـة.
- في عام 1973 صدر الدرهم الإماراتي كعملة للدولة.
- فـي عـام 1975، قامـت أبوظبـي بإجراءيـن مهمَّيـن سـاعدا علـى تعزيـز العمـل الاندماجـي الفيدرالـي: إلغـاء العمـل بعلـم الإمـارة وحلـول علـم دولـة الإمـارات محلَّـه، وقـرار تخصيـص نسـبة 50٪ مـن إيـرادات إمـارة أبوظبـي لدعـم الميزانيـة السـنوية للاتحـاد.
- فـي عـام 1976 تـمَّ الاتفـاق بيـن الإمـارات الأعضـاء فـي الاتحـاد علـى تخصيـص 50٪ مـن المـوارد النفطيـة لـكل إمـارة للإسـهام فـي الميزانيـة الاتحاديـة، وفـي مايـو مـن نفـس العـام تـمَّ توحيـد القـوَّات المسـلحة.

- في عام 1979 بدأت إمارة دبي تُسهم في الميزانية الاتحادية بنحو مليارين إلى ثلاثة مليارات درهم سنوياً.
- في عام 1980 أنشئ المصرف المركزي للدولة.
- في منتصف الثمانينيات بدأت إمارتا الشارقة ورأس الخيمة تخصيص نسبة من عوائدهما النفطية للإسهام في الميزانية الاتحادية.

وهكذا شهدت المرحلة جهوداً حثيثة على المستوى السياسي لتثبيت قواعد الدولة وتحديد هويَّتها في محيطها الخليجي والعربي والدولي، وكان من أبرز قرارات هذه المرحلة:

- موقف الشيخ زايد في حرب أكتوبر عام 1973، وقطع البترول عن أمريكا.
- قرار إنشاء جامعة الإمارات في العين عام 1977.
- قرار إنشاء مجلس التعاون الخليجي عام 1981.
- المشاركة في عاصفة الصحراء لتحرير الكويت عام 1991.

وهكذا أسهمت السياسة الخارجية للدولة التي وضع أسسها الشيخ زايد في استكمال معالم الصورة الدولية مثل: الالتزام بالمواثيق الدولية، وعدم السماح للآخرين بالتدخُّل في الشؤون الداخلية للدولة، وفضِّ المنازعات بالطرق السلمية، ومراعاة حقوق الجوار، وحرية استثمار الثروات، وفتح آفاق الاستثمار الخارجي والإسهام في بناء التضامن العربي والإسلامي، ورفع حجم المساعدات للدول النامية بصناديق مخصَّصة لهذا الغرض.

4. مرحلة الانطلاق (1991 - 2004)

شهدت هذه المرحلة عدداً من الإنجازات على المستوى السياسي والتشريعي والإداري، وعلى صعيد المبادرات المجتمعية وسياسات التوطين، ودعم المرأة والرعاية الصحية، ومواجهة خلل التركيب السكَّاني، وتطوير الموانئ البحرية.

ومن أجل الاستغلال الأمثل لمصادر الطاقة أنشأت الدولة العديد من الصناعات التحويلية، ودخلت في شراكات استراتيجية لتوطين الصناعة وتوسيع السوق، وهو ما انعكس إيجابياً على الدخل القومي، كما شهدت تطوير القوات المسلَّحة الذي قال عنه الشيخ زايد: لقد سخَّرنا الإمكانيات والجهود لإعداد جيش عصري قوي ومدرَّب، ووفَّرنا له أفضل الأسلحة وأكثرها تطوُّراً ومواكبة للعصر، وأسَّسنا المعاهد والكليات المتخصّصة والعسكرية العليا لتأهيل أبنائنا وإعدادهم إعداداً كاملاً يليق بدورهم الكبير في حماية أرض الوطن وسلامة الأهل.

ومع بداية القرن الحادي والعشرين أعلنت الدولة توجُّهها بقوَّة إلى «الاقتصاد المعرفي»، ولا غرابة أن نقرأ هنا في مرجع عربي عن الاقتصاد المعرفي جملة قالها الشيخ زايد وعمل بمقتضاها قبل عقود من ظهور المفهوم والمصطلح، فمن مبادئ الاقتصاد المعرفي أنَّ: «التعليم والتنمية صنوان متلازمان، بل التعليم يعدُّ سابقاً على التنمية، وهو استثمار أصيل يشكّل القاعدة لكل استثمار آخر، والدعامة الأساسية للبنى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، والركيزة الأساسية للارتقاء.

5. مرحلة التنافسيَّة الدوليَّة (ما بعد الشيخ زايد)

- في عام 2013 حازت دولة الإمارات المركز الثاني عربياً والثالث عالمياً من حيث جاهزيَّتها للاستفادة من التكنولوجيا من أصل 144.
- وطبقاً لتقرير صادر من برنامج الأمم المتحدة الإنمائي احتلَّت الإمارات المركز الثاني عربياً عام 2013 في التنمية البشرية.
- في عام 1995 كانت الإمارات في المركز الثاني عربياً والـ (46 عالمياً) بمعايير الاقتصاد المعرفي، فأصبحت عام 2012 الأولى عربياً والـ (42 عالمياً).
- ويمكن ملاحظة انعكاس مستوى التنظيم السياسي على البنى الاجتماعية من دراسة المؤشِّرات الدولية ومن أبرزها نتائج تقارير التنافسيَّة الدوليَّة لعامي 2013 و2014 حيث صعدت الإمارات (5) مراتب لتحتلَّ المرتبة (19) في التنافسيَّة الكليَّة لاقتصادها في سنة واحدة، متقدّمة على دول مثل: فرنسا، وأيرلندا، وأستراليا.

التميُّز وإدارة الدولة

حين نقيّم تجربة الشيخ زايد في إدارة الدولة، استناداً إلى نموذج التميُّز الأوروبي، وهو من أبرز نماذج «إدارة التميُّز» الشائع استخدامها في العالم المعاصر، ولمَّا كان «نموذج التميُّز» صُمّم ليقيم المؤسَّسات لا الدول، فإنَّنا سنعيد في الفقرات التالية صياغة متطلَّبات المُمكِنات، ونشرح معاييرها الفرعية ونقاطها التوجيهية على نحو يجعل النموذج قابلاً للتطبيق على الدول:

أولاً- زايد ومفاهيم التميُّز

1. مفهوم القيادة من خلال رؤية وقيم إنسانية

وهو ما نجح الشيخ زايد في إدراكه، واستطاع بلورة استجابته الخاصة له في فكرة «الاتحاد»، فالحل هنا ينطوي على إلهام ورؤية لا على مجرد استجابة «آلية» منفصلة عن الرؤية العامة، وهي رؤية كان الجانب الإيماني حاضراً فيها. انطلق الشيخ زايد من رؤية ترتكز على: «تحقيق الرفاهية الاجتماعية ومفهوم متكامل للوحدة السياسية والاهتمام بالبيئة».

2. مفهوم تنمية القدرات الوطنية

ارتكزت استراتيجية الإمارات في تطوير القدرات الوطنية للدولة على ثلاثة محاور: إدخال الإمارات في عصر الصناعة لتنويع مصادر الدخل، واستنبات اقتصاد زراعي، واستقطاب الكفاءات البشرية للإسهام في تسريع وتيرة النمو في ظل قلَّة الموارد البشرية الوطنية المؤهَّلة.

3. مفهوم الإدارة بالكفاءة وسرعة التكيُّف مع التغيير

هناك عشرات الأمثلة على الجهود التي بذلها الشيخ زايد في رحلته القيادية للإدارة المؤهَّلة والتكيُّف مع التغيير، دون التخلّي عن المبادئ الجوهرية، وذلك في إدارة التوقُّعات الداخلية والخارجية والتحوُّلات الثقافية والمجتمعية لدولة في طور النمو، واستخدام أكثر السبل تأثيراً في نشر الأهداف الوطنية واجتذاب مؤيِّدين لها، وإدارة رأس المال البشري والبنية التقنية، وتحديد المشروعات الوطنية وإدارتها.

4. مفهوم النجاح باستثمار مواهب المواطنين وقدراتهم

كان شحُّ الموارد البشرية من العقبات التي كان على الشيخ زايد أن

يواجهها عند تأسيس الهيكل الإداري ومعالجة مشكلاته، فإلى جانب التوسُّع في التعليم، بادر الشيخ زايد إلى ابتعاث الطلاب للدراسة في الخارج.

5. مفهوم خلق قيمة مضافة للمقيمين على أرض الدولة

كانت القيمة المضافة التي تتحقَّق للمقيمين على أرض الدولة هدفاً واضحاً، وهو «إسعاد المواطنين» وهو المنهج الذي هيَّأ للمقيمين جميعاً ـ مواطنين، ووافدين ـ أسباباً مشتركة للسعادة، ما يعني قيمةً مضافةً ذات طبيعة نوعية تتجاوز توفير الحاجات الضرورية إلى تحقيق دولة الرفاهية.

6. مفهوم تسخير الإبداع والابتكار

أدرك الشيخ زايد بفطرته أنَّ مفهوم الإبداع ينطبق على الأعمال والعمليات والأنشطة، ولا يقتصر على المنتجات فقط. هناك إبداع في العمليات والهياكل وأنظمة العمل والتعليم، والنقل والمواصلات، والصحَّة والتنمية الأسرية، وغيرها من المجالات، وتتحقَّق فائدة الإبداع عندما تتحوَّل الأفكار المجرَّدة إلى واقع ملموس عبر خطط إنتاج محدَّدة ومتوافقة مع الأهداف والخطط وفي الإطار الزمني الملائم.

7. مفهوم استدامة تحقيق النتائج الباهرة

تتعلق استدامة النتائج الكبيرة ببناء مستويات الثقة بين الحكَّام والشعوب، وإدارة القضايا الاستراتيجية والمخاطر السياسية والاقتصادية ومحاربة الفساد واستقلال الإعلام والقضاء والشفافية في إعداد التقارير وإعلان النتائج، وتوفير المعلومات الدقيقة والوافية لمتخذي القرار لتمكّنهم من اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب.

8. مفهوم بناء مستقبل مستدام

أدرك الشيخ زايد أنَّ بناء المستقبل المستدام لن يتحقَّق إلا بتوفير بيئة ونمط حياة وأساليب عمل تشجّع المواطنين على المشاركة الإيجابية في الأنشطة التي تعود بالفائدة على المجتمع ككل، ومعرفة الكفاءات المطلوبة وفهمها لتحقيق ذلك.

ثانياً: زايد ومعايير التميُّز الرئيسة

1. معيار القيادة

أ. كيف صاغ الشيخ زايد رؤية دولة الإمارات ورسالتها وقيمها ومبادئها؟ وكيف قدَّم القدوة الحسنة؟ هذا المعيار يشمل المحاور الاسترشادية التالية:

- القيم الرئيسة لدولة الإمارات ومسارها المستقبلي.
- توحيد الجهود لتحقيق الرؤية.
- نشر قيم الدولة والدفاع عنها.
- دعم ثقافة المشاركة في القيادة.
- تعزيز السمعة والمكانة الدولية.
- السلوك القيادي والقدوة الحسنة.

ب. كيف طوَّر الشيخ زايد النظم المؤسَّسية والإدارية في الدولة، وتابع إجراء التحسينات عليها؟ هذا المعيار يشمل المحاور الاسترشادية التالية:

- تحديد الأولويات وإدارة التوقُّعات.
- حصر القدرات وتقييم النتائج.

- توفير منافع مستدامة متوازنة.
- إدارة القضايا الاستراتيجية والأخطار المستقبلية.
- المساءلة والشفافية وتبادل المسؤولية.

ج. كيف تفاعل الشيخ زايد مع الأطراف الخارجية خليجياً وإقليمياً وعالمياً؟ هذا المعيار يشمل المحاور الاسترشادية التالية:

- تعزيز القيم المشتركة بين الشركاء الاستراتيجيين.
- الاستجابة المناسبة للحاجات والتوقُّعات.
- تحقيق مستويات الثقة بالتشاور والمصارحة.
- التزام القيم العليا والمبادئ الإنسانية.
- المساعدات الإنسانية الدولية.

د. كيف دعم الشيخ زايد ثقافة التميُّز بين أبناء دولة الإمارات؟ هذا المعيار يشمل المحاور الاسترشادية التالية:

- الاعتراف بالجهود وتقديرها.
- تبنِّي الأفكار الجديدة ودعم تطبيقها.
- تعزيز التنوُّع وتكافؤ الفرص.

هـ. كيف نجح الشيخ زايد في ضمان مرونة الإدارة الفعَّالة لعمليَّة التغيير في المجتمع الإماراتي؟ هذا المعيار يشمل المحاور الاسترشادية التالية:

- الإدارة الفعالة للتغيير.
- صناعة القرارات بناءً على المعلومات والخبرة.

- التوازن بين متطلَّبات الإنسان والبيئة والثروة.
- إشراك المواطنين في التغيير.

2. معيار الاستراتيجية

أ. كيف صاغ الشيخ زايد الاستراتيجية بناء على الحاجات والتوقُّعات داخلياً وخارجياً؟ هذا المعيار يشمل المحاور الاسترشادية التالية:

- تأطير الرؤية بناء على الحاجات والتطلُّعات.
- توقُّع المتغيّرات المحتملة والتأهُّب لها.
- مراجعة الاستراتيجية والسياسات الداعمة.
- رسم السيناريوهات المستقبلية.

ب. كيف صاغ الشيخ زايد الاستراتيجية بناء على قدرات المجتمع وإمكانيات الدولة؟ هذا المعيار يشمل المحاور الاسترشادية التالية:

- تحليل اتجاهات الأداء وفرص التحسين.
- فهم القدرات الظاهرة والكامنة.
- تصميم استراتيجيَّات التغيير المحسوب.
- تحديد نقاط القوَّة وفرص التحسين.

ج. كيف طوَّر الشيخ زايد الاستراتيجية والسياسات الداعمة لها؟ هذا المعيار يشمل المحاور الاسترشادية التالية:

- صياغة استراتيجية واحدة.

- تطبيق مفهوم الاستدامة.
- تحديد الأهداف وتوفير الموارد لتحقيقها.
- إدارة الأخطاء وتجذير القيم الوطنية.

د. كيف نشر الشيخ زايد الاستراتيجية والسياسات الداعمة وتابع أداءها؟ هذا المعيار يشمل المحاور الاسترشادية التالية:

- ترجمة الاستراتيجية إلى سياسات متوائمة.
- تأسيس الهياكل التنظيمية لتنفيذ الاستراتيجية.
- تعميم الاستراتيجية وتوسيع المشاركة.

3. معيار رأس المال البشري

أ. كيف أدرك الشيخ زايد واقع رأس المال البشري في الدولة لتحقيق خطط النمو؟ هذا المعيار يشمل المحاور الاسترشادية التالية:

- تشخيص واقع رأس المال البشري وفرص تطويره.
- مواءمة الموارد البشرية مع استراتيجية الدولة.
- توطيد نهج الشورى.
- ضمان المساواة وتكافؤ الفرص.

ب. كيف طوَّر الشيخ زايد معارف الثروات البشرية وقدراتها؟ هذا المعيار يشمل المحاور الاسترشادية التالية:

- تحديد المهارات والكفاءات ومستويات الأداء المطلوبة.
- التخطيط لجذب الكفاءات وتطويرها والاحتفاظ بها.
- تقييم الأداء ووضع خطط التعليم والتطوير وتنفيذها.

ج. كيف حقَّق الشيخ زايد تطلُّعات المواطنين وأهداف الدولة بالشراكة والتمكين؟ هذا المعيار يشمل المحاور الاسترشادية التالية:

- تمكين المواطنين.
- غرس ثقافة الإبداع والابتكار.
- تشجيع الأفراد على تحمُّل مسؤوليَّتهم المجتمعية.

د. كيف تواصل الشيخ زايد مع الشعب لتحقيق الأهداف الوطنية؟ هذا المعيار يشمل المحاور الاسترشادية التالية:

- وضع استراتيجيات الحوار المجتمعي وأدواته.
- تشجيع الحوار وتبادل المعرفة.
- تعزيز الروابط بين المقيمين على أرض الدولة.

هـ. كيف قدَّر الشيخ زايد رأس المال البشري وحافظ على التنوُّع وتكافؤ الفرص؟ هذا المعيار يشمل المحاور الاسترشادية التالية:

- مزايا المواطنين في الدولة.
- تشجيع العمل الجماعي واحترام التعدُّدية والاستفادة منها.

4. معيار الشراكات والموارد

أ. كيف أدار الشيخ زايد الشراكات والموارد لتحقيق منفعة مستدامة؟ هذا المعيار يشمل المحاور الاسترشادية التالية:

- تحديد دوائر الشركاء وإدارة توقُّعاتهم.
- بناء علاقات مستدامة على أساس الثقة والمنفعة.
- المشاركة الفعَّالة في المنظَّمات الدولية.
- إدارة الشراكات لخدمة مصالح الدولة.

ب. كيف أدار الشيخ زايد الشؤون الاقتصادية والمالية في الدولة لضمان نجاح مستدام؟ هذا المعيار يشمل المحاور الاسترشادية التالية:

- بناء استراتيجيات الإدارة المالية والاقتصادية وسياساتها.
- التخطيط والرقابة المالية.
- تقييم الاستثمار وإدارته.
- المرونة والحوكمة المالية.
- تحديد الأخطار المالية وتحجيمها وإدارتها.

ج. كيف أدار الشيخ زايد الموارد المالية والطبيعية وفق قواعد الاستدامة؟ هذا المعيار يشمل المحاور الاسترشادية التالية:

- استراتيجيَّات ضمان الاستدامة للموارد الطبيعية وسياساتها.
- الاستخدام الأمثل والإدارة الفعَّالة للموارد الطبيعية.
- أثر الأنشطة الاقتصادية في البيئة والصحَّة.
- ترقية المعايير البيئية.

د. كيف أدار الشيخ زايد البنية التقنيَّة لتعزيز استراتيجية الدولة؟ هذا المعيار يشمل المحاور الاسترشادية التالية:

- وضع استراتيجية البنية التقنيَّة للدولة وسياساتها.
- استخدام البنية التقنيَّة لدعم جهود تحديث التطوير.
- استخدام التقنيات الحديثة في تلبية حاجات المجتمع.

هـ. كيف حقَّق الشيخ زايد الإدارة الفعَّالة للمعرفة لدعم صناعة القرار وبناء قدرات الدولة؟ هذا المعيار يشمل المحاور الاسترشادية التالية:

- استراتيجيات إدارة المعلومات والمعرفة وسياساتها.

- الاستخدام الفعَّال للمعرفة في صناعة القرار.
- تأسيس شبكات التعلُّم والإعلام لإدارة المعرفة.
- حقوق الملكيَّة الفكريَّة في الإمارات.

5. معيار العمليات والمنتجات والخدمات (المشروعات والخدمات الحكومية)

أ. كيف خطَّط الشيخ زايد للمشروعات الوطنية والخدمات الحكومية؟ هذا المعيار يشمل المحاور الاسترشادية التالية:

- مواءمة المشروعات والخدمات مع السياسة العامَّة للدولة.
- تحديد المشروعات بما يلبِّي الحاجات والتطلُّعات.
- التنسيق والتكامل بين المشروعات.

ب. كيف أدار الشيخ زايد الجهاز الحكومي لزيادة المردود للمواطن؟ هذا المعيار يشمل المحاور الاسترشادية التالية:

- إنشاء الجهاز الحكومي لتحقيق الرؤية الاستراتيجية الوطنية.
- مراجعة كفاءة الجهاز الحكومي وتقييمها.
- تطوير الجهاز الحكومي بناء على رغبات الناس وتطلُّعاتهم.

ج. كيف عرَّف الشيخ زايد العالم بدولة الإمارات ومؤسَّساتها؟ هذا المعيار يشمل المحاور الاسترشادية التالية:

- دور الإعلام المحلي في تثبيت قواعد الدولة.
- التعريف بدولة الإمارات عالمياً.
- دور المساعدات الخارجية في تعزيز مكانة الدولة عالمياً.

د. كيف أسهم الشيخ زايد في توفير خدمات جديدة بانتظام وفاعلية؟ هذا المعيار يشمل المحاور الاسترشادية التالية:

- توفير الخدمات الحكومية المتوافقة مع الاستراتيجية الوطنية.
- توفير الخدمات الحكومية بما يلبّي الحاجات والتطلُّعات.
- بناء القدرات التنظيمية للمؤسَّسات الحكومية.

هـ. كيف أدار الشيخ زايد الآثار الاجتماعية لأداء الجهاز الحكومي؟ هذا المعيار يشمل المحاور الاسترشادية التالية:

- بناء سياسات فعَّالة في إدارة العلاقات المجتمعية.
- فتح حوار مستمر مع المواطنين.
- مراعاة الجانب الاجتماعي في المشروعات والخدمات.

حاز سموه العديد من الأوسمة والجوائز تقديراً لجهوده الإنسانيَّة، وهذه بعضها:

- **الوثيقة الذهبية 1985**، من المنظمة الدولية للأجانب، جنيف/ سويسرا، لجهوده في المجالات الإنسانية، ورعاية الجاليات الأجنبية العاملة لدى دولة الإمارات.

- **أبرز شخصية للعام، 1989**، هيئة رجل العام الدولية، فرنسا. لدوره في وقف الحرب العراقية الإيرانية، وإعادة العلاقات بين الدول العربية ومصر بعد اتفاقية كامب ديفيد.

- **وسام منظمة الليونز العالمية، 1992**، الولايات المتحدة الأمريكية. لمواقفه ومبادراته النبيلة لإغاثة المتضررين من المجاعة والكوارث، وكذلك المساعدات المتواصلة للدول النامية.

- **وشاح رجل الإنماء والتنمية، 1992**، جامعة الدول العربية/ ، القاهرة/ مصر. لجهوده في مكافحة التصحُّر والمشاريع البيئيَّة والتنمويَّة في الوطن العربي.

- **درع مجلس وزراء العمل، 1993**، مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الرياض/ السعودية. لدعم سموه المتواصل لتعزيز أواصر التعاون والترابط بين أقطار مجلس التعاون.

- **درع العمل، 1996**، منظمة العمل العربية، القاهرة/ مصر. لدور سموه الرائد في دعم العمل العربي المشترك.

- **الشخصية الإنمائية على مستوى العالم، 1996**، استطلاع أجراه مركز الشرق الأوسط شارك فيه أكثر من نصف مليون عربي حول العالم. جدة/ السعودية. لدوره في مجال التنمية.

- **لقب حكيم العرب، 1997**، مجلة الأهرام العربي، مصر. لجهوده في الوحدة العربية، ولم الشمل وتجاوز الخلافات، والبدء بعلاقات عربية طيبة تتجاوز كل خطاب الماضي.

- **شهادة الباندا الذهبية، 1997**، الصندوق العالمي للحفاظ على الطبيعة، جنيف/ سويسرا. لجهوده الكبيرة في الحفاظ على البيئة وحماية الحياة البرية في الإمارات خاصة ومناطق أخرى من العالم.

- **أهم شخصية عالمية، 1997**، شركة هوليداي ميكر إيه جي السياحية، سويسرا. باعتباره من أبرز الزعماء في العالم ولإسهاماته من أجل إقرار الأمن والسلام في كافة أنحاء العالم.

- **أهم شخصية في العام، 1997**، صحيفة العالم اليوم، مصر. حمله للحلم

العربي بين يديه وبسطه من سماحة العرب درساً يقتدى به، ودوره في وصول مياه نهر النيل إلى سيناء.

- **درع المنظمة الإسلامية للتربية والتعليم والثقافة، 1998**، الرباط/ المغرب. لجهوده في دعم المنظمة، ودعم العمل الإسلامي المشترك.
- **شخصية العام الإسلامية، 1999**، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، دبي/ الإمارات. لجهوده ومواقفه في خدمة الإسلام والمسلمين، وحرصه على بذل كل جهد لتحقيق التضامن بين الدول الإسلامية.

المؤلف:

د. عماد الدين حسين:

حاصل على الدكتوراه في الإدارة الدولية من كلية الإدارة الدولية بنيويورك، وماجستير في القانون والأعمال الدولية من جامعة لندن بالمملكة المتحدة، ومستشار ومدرب دولي في التطوير والتميز المؤسسي، ومحكم تجاري دولي معتمد لدى مركز أبوظبي للتوثيق والتحكيم التجاري، ويرأس مجموعة رواد التميز الإداري الدوليون المتخصة في مشاريع بناء القدرات والتميز المؤسسي والاستشارات الإدارية والقانونية،، وكاتب ومؤلف له العديد من الإصدارات.

كتاب في دقائق

ملخصات لكتب عالمية تصدر عن
مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

بقوَّة الاتحاد

صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان:
القائد والدولة

تأليف:

مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

التراث

في عام 1863 رصد المبعوث البريطاني المقدّم «لويس بيلي» انطباعاته عن زيارته لمنطقة الخليج، ولم يكن المقدّم «بيلي» خيالياً في انطباعاته، غير أنَّ سمات لافتة للنظر في شعوب الخليج العربي استرعت انتباهه فكتب يقول:

«ما إن تلتقي هؤلاء العرب حتى تفهم كيف استطاعوا أن يفتحوا العالم ذات يوم، وقد تركتهم وأنا مقتنع بأنَّهم ما زالوا يملكون الخصائص والسجايا التي يمكن أن تعيد لهم صيتهم مرةً أخرى إذا ما تحقَّقت الظروف الملائمة. لقد تركت هؤلاء العرب وقد انطبع في ذهني أنَّ فضائلهم، وعاداتهم، وأخلاقهم، ونظام حكمهم، قد تشكَّلت نتيجة للظروف الطبيعية والأحداث التي كانت تطرأ من حين إلى آخر. المرء الذي يجد نفسه مجبراً على العيش في الصحراء لا يمكن أن يُشبّه نفسه بآخر ينحدر من سُلالة بدوية أصيلة، تفتَّحت عيناه على الحياة ليجد نفسه في أحضان البادية بكل سخائها وثرائها».

في هذه الظروف البيئية القاسية ينمو إحساسُ الفرد بذاته، ويتزايد تقدير قيم الحرية والاستقلال الذاتي، غير أنَّ السعي من أجل البقاء قد عَوَّدَهم على أن يتعاونوا ويتكاتفوا ويعملوا متحدين في جماعات كلَّما اقتضت

المصلحة العامة ذلك، كما أنَّ هؤلاء الرجال الذين يقدّرون قيمة الحرية يُطيعون زعيمَهم الذي ينال احترامهم. الصلات التي جمعتهم وربطتهم معاً كامنة وغير ملموسة، وتقوم روابط الاتحاد على عهود ومواثيق طوعيَّة يحافظ عليها أطرافها ملتزمين بمبدأ الشرف وصدق الكلمة الذي يشكّل مقوّماً أساسياً في كل جانب من جوانب ثقافتهم.

لقد تشكَّل مجتمعُهم من تفاعل ثلاثة عناصر منفصلة ولكنَّها متكاملة:

- أوَّلها طبيعة المكان وهي البيئة الطبيعية التي حدَّدت أبعاد عالمهم.
- وثانيها البنية السياسية التي تنتظم من خلالها حياتهم الاجتماعية والمتمثّلة في القبيلة والزعامة القبلية.
- أمَّا ثالثها فهو البنية الأخلاقية التي ربطت بينهم، والتي تتمثَّل في مبدأ الشرف الذي يلتزمُ بجوهرِه كلُّ البدو، وقد أسهم كلٌّ منهم في تكوين شخصية «عرب الصحراء»، كما أنَّها تشكّل المرتكزات الكامنة في أعماق شخصية الشيخ زايد.

البيئة الطبيعية: الصحراء

أفرزت الحياةُ في بيئة قاسية مثل صحراء شبه الجزيرة العربية ثقافةً فريدة تكيَّفت مع ما اقتضته الضرورة، فكل قبيلة عربية في الصحراء تكيَّفت مع الظروف التي واجهتها، وتنقسم القبائل بشكل عام إلى قسمين رئيسين:

أولاً: القبائل التي عاشت على ما تجود به الصحراء، فهي تُربّي الماشية وتزرع الواحات.

ثانياً: القبائل التي تعيش على البحر، سواء بالاعتماد على صيد الأسماك أو الغوص واستخراج اللؤلؤ أو التجارة البحرية.

أمَّا الذي يميّز قبيلة «بني ياس» في أبوظبي هو أنَّ أهلها يندرجون في الفئتين معاً، فقد كان هذا النمط من الحياة استجابة طبيعية للفرصة التي منحتهم إيَّاها بيئتهم التي كان عليهم استغلالها، أمَّا رؤية هذا النمط من الحياة فترتكز على كونهم «متعدّدي الأنشطة»، حيث أكسبتهم بيئتُهم مجموعةً من الصفات والقدرات الخاصة التي يتميَّزون بها عن سواهم من القبائل العربية.

منظومة القيم في المجتمع القبَلي

يتجسَّد مفهوم الشرف في منظومة الأعراف والتقاليد المتعلّقة بحسن الضيافة والكرم والصدق والعفَّة والإيثار والفروسيَّة والشهامة والشجاعة، وتشكّل هذه الأعراف البِنية الأساسية للمجتمع العربي، وما يهمُّنا في هذا المقام هو مفهوم الشرف الجماعي. لقد تشكَّلت علاقات الفرد الاجتماعية من واقع بيئته الطبيعية، كما أنَّ علاقته بغيره قد تحدَّدت في شكلين: فإمَّا أن يتكاتفا ويتعاونا، وإمَّا أن يختلفا ويتعارضا، وإن كان للجماعة أهميَّة خاصَّة مردُّها إلى حقيقة أنَّ كل فرد وكل عشيرة وكل فخذ من القبيلة إنَّما يمثّل جزءاً من الكل، فإنَّه لا وجود للفردية والعُزلة لدى أي شخص في إطار هذه المنظومة، وقد يغيّر الناس مكانهم من فئة إلى أخرى، إلا أنَّهم لا يستطيعون أن يكونوا بلا موطن ينتمون إليه.

ولعلَّ من أهمّ الصفات التي تُميّز الشيخ زايد فهمه التام للمعاني المتشابكة والتصنيفات المختلفة لمفهوم الشرف، تلك المعاني التي

تحكم العلاقات بين القبائل، فأدرك بفطنته السياسية استخدام هذه المبادئ كوسيلة للتقارب والاتحاد بين القبائل، ولعلَّ جزءاً من إدراكه لهذه الحقيقة يعود إلى الأسلوب الناجح لجدّه العظيم الذي حمل اسمه (زايد الكبير)، في جمع أعداء الأمس للقاء وتبادل الرأي في مجلس واحد. لقد استند كلٌّ من الشيخ زايد بن سلطان والشيخ زايد الكبير في ممارساتهما السياسية إلى جوهر التقاليد البدوية، والمتمثّلة في مدّ اليد إلى أعداء الأمس والإصغاء إليهم واستخدام الكلمة بدل السيف في حلّ الخلاف معهم، لأنَّ ذلك هو جوهر الطبيعة البدويَّة لاستيعاب الاختلاف.

شيخ القبيلة رمز الاتحاد

من أهمّ جوانب الإرث الذي تلقَّاه الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الظروف الصعبة الناجمة عن قسوة المُناخ والبيئة، وشظف العيش الذي تفرضه حياة الصحراء، والثقافة القائمة على القيم والعادات النابعة من مبدأ الشرف. كان الولاء هو المبدأ الذي تقوم عليه فكرة الشرف القبلي برمَّتها، الذي امتدَّت آثاره متجاوزةً الحِلف الذي تزعَّمه الشيخ زايد، لتقيم جسوراً قويةً بينه وبين القبائل المجاورة. لقد أدركوا أنَّهم أمام قائد يحترم كلمتَه ويهتمُّ بشعبه.لقد كان يتعامل مع المشكلات والأزمات بمنهج خاص، فهو دائماً عبر مراحل حياته المختلفة يستخلصُ من الأزمة أهمَّ الدروس والعبر، ومن السهل على المتتبّع لمسيرة المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيب الله ثراه، أن يلاحظ قدرته على مواجهة المحن وإدارة الأزمات بهدوء ورويَّة، فمع صعوبة الظروف وشدَّتها تتجلَّى حنكتُه السياسيةُ، وإرادتُه الصلبة للتوصل إلى حل يتجاوز تداعيات الأزمة.

زايد بن سلطان في صباه

مرَّ الشيخ زايد في صباه بتجربتين مختلفتين: الأولى في طفولته المبكّرة بمنزل أبيه في أبوظبي، والثانية في مقرّ الحاكم في قصر الحصن بعد تولّي أخيه الشيخ شخبوط الحكم، في ذلك الوقت المبكّر بدأ زايد يحفظُ القرآنَ الكريم، ولم يكن تجاوز سنوات الطفولة عندما بدأ يحضر مجلس أبيه، ويُصغي لما يدور فيه ويتعلَّم منه، وسرعان ما اكتسب الثقة ليطرح استفساراته على ضيوف المجلس، وأصبح معروفاً بأنَّه أكبر من سنّه.

ومع انتقاله إلى العين عام 1926، وخلال حياته بين أهل أمه من القبيسات، وهم بطن من «بني ياس»، نشأ زايد في بيئة بدوية خالصة، وفي مجلس جدّه حضر الشيخ زايد المداولات حول الهموم القبلية التي عايشها بشكل غير مباشر في أبوظبي، واستمع إلى المناقشات المتعلّقة بقضايا الحرب والعادات والتقاليد والأعراف العربية، وهي القضايا المحورية التي كانت سائدة خلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي.

وفي شبابه الذي أمضاه في العين حرص زايد بن سلطان على معرفة الرجال الذين قاتلوا إلى جوار جدّه زايد الكبير، واستمع إلى آرائهم وحكاياتهم وذكرياتهم، واكتشف من ذلك كلّه أنَّ جدَّه الذي لم يقدَّر له أن يلتقيه قد جمع فضائل حكَّام الصحراء من شجاعة وعدالة وأمانة وذكاء وكرم، وأدرك أهميَّة توافر هذه الصفات لإدارة شؤون القبيلة، وأدرك أنَّ رجالها يمكن قيادتهم، ولكنَّهم لا يقبلون أن يُساقوا.

ممثّل الحاكم: واقعيَّة زايد وسياسته

جاء تعيين الشيخ زايد بن سلطان ممثّلاً للحاكم في العين في أعقاب الحرب العالميَّة الثانية استجابةً للظروف السياسيَّة المحليَّة والدوليَّة المتغيّرة، وسرعان ما واجه بعض المشكلات الملحَّة، فقد كانت واحة العين المنطقة الوحيدة من إمارة أبوظبي القابلة للزراعة، وبالتالي كان رخاؤها مرتبطاً بتوافر الماء، ومن هنا كانت أوَّل مهمَّة واجهت الشيخ زايد، هي ضمان حسن إدارة موارد المياه وإعادة انسيابها وتوزيعها للجميع بعدالة، وكانت الإصلاحات في مجال توفير المياه حدثاً مهماً في تاريخ أبوظبي، ولكنَّ الطريقة التي حقَّق بها الشيخ زايد هذا الإنجاز العظيم لا تقلُّ أهميَّة من حيث ما انطوت عليه من دلالات، ولعلَّ أهمَّ ما يستوقفنا هنا هو تقديم المثل والقدوةِ الحسنة، إذ أظهر الشيخ زايد التزامَه الشخصي لإنجاز المشروع عندما شارك بنفسه في أعمال الحفر، وسرعان ما انتشرت أخبارُ مشاركته في أعمال الحفر في أوساط القبائل، وكانوا من فرط إعجابهم بشخصيَّته واقتناعهم بحسن تدبيره يمتثلون دائماً، وبشكل تلقائي، لخططه وتوجيهاته.

لقد تعزَّزت مهارة الشيخ زايد في الإقناع وازداد نفوذه وتعدَّدت الروايات حول قوَّة شخصيَّته، بل إنَّ صيته وشهرته قد وصلا إلى قبائل الرُّبْع الخالي قرب الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية، وكانوا يقولون عنه بإعجاب «زايد بدوي، خبير بالإبل، ويمتطيها مثلما يفعل أيُّ واحد منَّا، ويجيد إطلاق النار، ويعرف كيف يقاتل».

وفيما يتعلَّق بمهمَّة إعادة توزيع الماء بصورة عادلة، فقد استغرق الأمرُ من الشيخ زايد نحو عقدين لتحقيق كلّ ما يطمح إليه من أجل شعبه، ونتيجة

لذلك فقد أضحت حتَّى القبائل المناوئة «لبني ياس» تكنُّ تقديراً خاصاً للشيخ زايد، ما مكَّنه حينها من زيارة هذه القبائل التي رحَّبت به ترحيباً كبيراً.

وإذا كانت سياسة التنمية والتطوير التي تبنَّاها الشيخ زايد لمصلحة شعبه قد بدأت بالإصلاحات في مجال الريّ، فإنَّها لم تتوقَّف عند ذلك الحد، فمع نهاية الفترة التي قضاها في منصب ممثّل الحاكم في العين كان الشيخُ زايد قد أتاح لأهل العين الحصولَ على الخدمات التعليمية والصحية، كما بنى لهم سوقاً جديدة، وشيَّد طرقاً أفضل، في الوقت الذي كانت فيه مثل هذه المرافق غير متوافرة في المنطقة بأسرها.

ترسيخ التطور

حقق الشيخ زايد حين تولى مهام ممثل الحاكم في العين نجاحاً كبيراً في إدارة شؤون «العين» بفضل حِسِّه السياسي الصائب ورغبته الدائمة في مواكبة الأحداث والتطورات واستقاء المعلومات من مصادر محلية وعالمية متعددة. وخلال الفترة التي قضاها في العين، اكتشف أن هناك جانباً سياسياً لجميع القرارات وخطط العمل الفنية، حتى في مجال الخدمات والرعاية الاجتماعية، التي كانت إنجازاتُه فيها نابعةً من مشاعر الكرم وحب الناس التي يتَحلَّى بها، فإن البرنامج التنموي الذي اختاره لشعبه كان يُصاغ في إطار أهدافٍ سياسية ودبلوماسية.

لقد تبلورت أفكارُه وخُطَطُه ونضجت خلالَ الفترة التي صقلت تجربتَه عندما كان ممثلاً للحاكم في العين، وهي الفترة التي رفَدَت إنجازاتِه حين أصبحَ حاكماً لأبوظبي، بقدرٍ ملحوظٍ من الثقة والتصميم على بلوغ الهدف المنشود.

فلو استرجعنا الآن ما جرى لبدا واضحاً أن كُلَّ قرارٍ من قراراته كان جزءاً من استراتيجية متكاملة، ومن ثم تبرز ضرورةُ دراسة أعمالِه بعد أغسطس 1966، في سياق الكيان السياسي الجديد الذي وضع تصوراً له، وعملَ على تحويله إلى واقعٍ ملموس بصورة متدرجة. وإذا كانت كل أفعالِ الشيخ زايد ذات طابع إنساني وأخلاقي، فإنها كانت ذات رؤيةٍ سياسيةٍ واضحةٍ أيضاً.

بناء أبوظبي جديدة

لم تكن المهمَّة التي واجهت الشيخ زايد منذ أول يوم من تولّيه الحكم في السادس من شهر آب/ أغسطس 1966 مهمَّةً يسيرةً بأيّ حال من الأحوال، إذ كان عليه أن يبني مجتمعاً جديداً، ورغم الحماسة والتأييد البالغين اللذين عبَّر عنهما كلُّ أهالي أبوظبي لتولّيه الحكم، فقد كانت فرحة الحاكم بترحيب شعبه ممزوجة بمشاعر القلق من ثقَل المسؤوليَّة الملقاة على عاتقه، فقد كانت أولويَّاتُه هي تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في إمارة أبوظبي، وتوثيق الصلات مع الإمارات المجاورة.

منذ اللحظة الأولى بدا حجم العمل المطلوب تنفيذه كبيراً بشكل غير مسبوق، وبلغت الميزانيَّة المقترحة لعام 1967 (47 مليون دينار بحريني)، خُصّصت لإقامة البُنى التحتية والمستشفيات والميناء وإسكان المواطنين والمدارس.

في 20 آذار/ مارس 1968 أعلن الشيخ زايد خطَّةً خمسيةً مثَّلت استراتيجية تنموية تغطّي كل نواحي الحياة، وخُصّصت فيها ميزانية لكل القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والصناعية والتجارية والزراعية. كان الهدف هو دفع أبوظبي إلى الأمام، وفقاً لاستراتيجية محدَّدة تحوّل

اقتصادها إلى اقتصاد حديث ومتطوّر. كانت الخطَّة الخمسية في جوهرها عملاً سياسياً، فمن واقع إدراكه لحالة عدم الاستقرار المتصاعدة في المنطقة كان الشيخ زايد يُدرِك ضرورة خلق بنية سياسية متماسكة في أبوظبي وترسيخها لكي يكسب ثقة أبناء شعبه ويوفّر الفرص للشباب.

الطريق إلى الاتحاد

كان الشيخ زايد مشغولاً طوالَ عام 1968 بالتوصُّل إلى طرق من شأنها ضمان استقرار أبوظبي بعد انسحاب القوَّات البريطانية، ولم يكن لدى البريطانيين أي تصوُّر في بدايات حكم الشيخ زايد عن كيفيَّة استغلال القوَّة الاقتصادية والسياسية الكامنة لأبوظبي، وكانت تتوقَّع أن يستخدمها للضغط على الإمارات المجاورة ليحقّق مكاسب ذاتية.

ولكنَّ ما حدث كان عكس ذلك تماماً، إذ أدرك الشيخ زايد من البداية أنَّ لكل إمارة مصالح وبرامج عمل خاصة بها، وقد أقام علاقات عمل شخصية راسخة مع كل حكَّام المنطقة قائمة على الاحترام المُتبادَل، مدركاً أنَّ العلاقات الشخصية الجيّدة لا تعني بالضرورة توافقاً تاماً في المواقف بين الإمارات تجاه مختلف القضايا.

في هذا السياق، أضحى تعيين الحدود السياسية لكل إمارة أمراً ذا أهمية اقتصادية بالغة، وتطلب هذا مهارةً فائقةً في التفاوض من أجل تسوية الخلافات القائمة بشأن المصالح الخاصة لكل إمارة، وقد عبَّر الشيخ زايد عن ذلك قائلاً: «إنَّ سياسته تقوم على تعزيز أواصر الصداقة والتعاون بين إمارات الخليج التسع، وإنَّه سيسعى إلى تحقيق ذلك بكل ما في وسعه».

أمَّا العلاقة مع دبي فكانت أكثر القضايا حساسية، فلقد تكوَّنت العلاقة الشخصية التي ربطت الشيخ زايد والشيخ راشد على مدى أعوام طويلة، فترسَّخت لغةُ التفاهم والحوار التي جمعت هذين الزعيمين وأدَّت إلى تسوية بعض الخلافات التي كان يمكن أن تتفاقم، وعندما أصبح الشيخ زايد حاكماً لأبوظبي كانت هناك قضية حدودية غير محسومة بين الإمارتين.

لقد أدرك الشيخ زايد أنَّ تسوية الخلاف مع دبي ليست في مصلحة أبوظبي فحسب، بل في مصلحة المنطقة برمَّتها، ومن هنا وافق على تسوية تعدُّ في مصلحة دبي، وذلك من خلال تبادل محدود في الأراضي، وقد ثبت أنَّ ذلك هو ما شكَّل القاعدة التي انطلق منها الحاكمان المحنَّكان إلى إقامة اتحاد على نطاق أوسع بين الإمارتيْن في 18 شباط/ فبراير 1968.

الاتحاد مولد الدولة

جاءت الخطوةُ الحاسمةُ الأولى في طريق الاتحاد نتيجة لاتفاق في الرؤى بين الشيخ زايد حاكم أبوظبي، والشيخ راشد حاكم دبي، ومن العوامل المهمَّة جداً التي أعطت دفعةً لإبرام الاتفاقيَّة المذكورة رغبة القائدين في إعطاء نموذج للإمارات الأخرى عن سبل نجاح الوحدة وفوائدها، ووفقاً لهذه الاتفاقية تتشكَّل دولة فيدرالية واحدة ذات سياسة خارجية ودفاعية وأمنية مشتركة، وتقدّم خدمات طبية وتربوية مشتركة، ولها حقوق مواطنة مشتركة.

وتأكيداً على أنَّ هذه الاتفاقية أكثر من مجرد وثيقة مكتوبة، أبرمت الإمارتان في اليوم نفسه اتفاقية أخرى خاصة بترسيم الحدود البحرية بينهما،

وكان لهذه الاتفاقية أهميَّة حاسمة في تطوير الموارد النفطية في دبي، ومثَّلت هذه الاتفاقية تنازلاً طوعياً من قبل أبوظبي لصالح دبي، وإشارةً مهمةً إلى أنَّ التسوية السلميَّة تحلُّ المشكلات طويلة الأمد بين الإمارتيْن.

الطريق نحو الاتحاد

لم يكن الشيخ زايد بعيداً عن المفاوضات في الفترة بين ربيع عام 1968 وربيع عام 1971، بل آثر أن ينتظر فرصةً ملائمةً للتدخُّل الحاسم فيها بعد أن وصلت مفاوضات إنشاء اتحاد يضمُّ الإمارات التسع إلى طريق مسدود في تشرين الأول/ أكتوبر 1969، ثمَّ بُذِلت محاولات جديدة في حزيران/ يونيو 1970 لتنشيط الجهود المبذولة للتوصُّل إلى اتفاقيَّة، ولكن ثبت لاحقاً أنَّ المهمَّة مستحيلة، وهنا بدأ الشيخ زايد باتخاذ خطوات حاسمة:

فقد أعلن أولاً في 1 تموز/ يوليو 1971 بوصفه حاكماً لأبوظبي أنَّ الإصلاح الدستوري في أبوظبي سيتمُّ مستقلاً بذاته عن إطار أي اتحاد يُتَّفَق عليه، وكان المفهوم الضمني الواضح لتلك الخطوة أنَّ أبوظبي تعتزم المُضيَّ قدماً للانتقال إلى مرحلة الدولة، سواء انضمَّت الإمارات الست الأخرى، أو لم تنضم إلى الاتحاد المقترح.

ثمَّ بادر في 13 تموز/ يوليو 1971 إلى طرح مسألة الاتحاد بشكل مباشر، حيث توجَّه بالسؤال إلى حكَّام الإمارات الست الأخرى عمَّا إذا كانوا راغبين في الاتحاد أم لا، وعندئذٍ كان من الضروري أن يتخذوا قراراً قاطعاً بشأن خيارين صريحين، وقد أبدى الحكّام الستَّة رغبتهم في الاتحاد.

إعلان مولد دولة الإمارات العربية المتحدة

في الثاني من كانون الأول/ ديسمبر 1971 رُفِع للمرة الأولى علَمُ الدولة الجديدة في قصر الجميرة في دبي وجاءت ألوانه الأحمر والأخضر والأبيض والأسود، لتُعبّر عن ارتباط تقليدي بالإمارات التي شكَّلت الاتحاد الوليد، وحتى اللحظة الأخيرة كان هناك أمل بأن تنضمَّ إمارة رأس الخيمة لتشكيل اتحاد من سبع إمارات، إلا أنَّ الدولة التي أُعلِن قيامُها كانت تتكوَّن من ستّ إمارات فقط، وبعد انضمام رأس الخيمة في 10 شباط/ فبراير 1972، أصبحت دولة الإمارات العربية المتحدة تضمُّ الإمارات السبع جميعها.

بناء الدولة

كان لدى المغفور له الشيخ زايد اعتباراً من عام 1971 أولويَّتان متلازمتان في سياسته الداخلية:

- **أوَّلهما**: توفير الإرادة السياسية والزخم اللازم لتنمية الدولة على أعلى المستويات.
- **الثانية**: التأكُّد من وضوح فوائد إنشاء دولة الاتحاد أمام أفراد شعبها جميعاً.

وتمَّ دمج الأولويَّتين في سلسلة من البرامج الاتحادية المكثَّفة وبدأت مشروعات التنمية (الوحدات السكنية، وتطوير المرافق العامَّة، والبنية التحتية، والخدمات الاجتماعية من مدارس ومستشفيات، وجامعات، والزراعة والتشجير، وبناء القوات المسلَّحة).

أمَّا بشأن التنمية البشرية وأسباب توفير مقوّمات الحياة فقد قال المغفور له الشيخ زايد: «**هدفنا هو بناء الجيل الجديد الذي يستطيع أن يتحمَّل مسؤوليَّاته ومواصلة مسيرة التقدُّم على أرضه. إنَّ واجبي هو توفير كل مقوّمات الحياة الكريمة لكل مواطن ومواطنة، وأنَّ العقيدة والإيمان والعمل هي أساس النجاح**».

وخلال الفترة 1971ـ1981 أيقن الشعب أنَّ الشيخ زايد قد نجح في التغلُّب على تحدّيات إقامة الدولة الجديدة، وبحلول الثمانينيَّات اعتبر الشعب أنَّ الوحدة خيار لا رجعة فيه، واستطاع المغفور له الشيخ زايد، طيب الله ثراه، أن ينقل نموذجَ الوحدة إلى سياق عربي أوسع كما أراد دائماً، ففي شباط/ فبراير 1981 لم يكن الشيخ زايد رئيساً لدولة الإمارات العربية المتحدة فحسب، بل كان أيضاً أوَّل رئيس للدورة الأولى لمجلس التعاون الخليجي.

وقد أدَّى منهجُ الشيخ زايد إلى تحقيق درجة عالية من الثبات والتماسك في السياسة الخارجية، فقد بقيت المبادئ التي أعلنها في كانون الأول/ ديسمبر 1972 بمناسبة الذكرى الأولى لقيام دولة الإمارات أساساً لدبلوماسية الدولة حتى يومنا هذا.

يقول الشيخ زايد، رحمه الله:

«كانت أهداف سياستنا تتحرَّك في أربعة اتجاهات:

- **أولاً**: حلُّ الخلافات بين دولة الإمارات العربية المتحدة والدول المجاورة بالطرق الودية والسلمية.

- **ثانياً**: توسيع قاعدة الاتحاد، وذلك بترك الباب مفتوحاً أمام دول المنطقة التي تريد الانضمام إليه.
- **ثالثاً**: دعم القضايا العربية والتنسيق مع الدول الشقيقة في السياسة الخارجية والاقتصادية وفي كل المجالات.
- **رابعاً**: الانفتاح على العالم ومشاركة جميع الدول في المجالات الدولية والالتزام بميثاق الأمم المتحدة».

بقوَّة الاتحاد

في عام 1953 أصدر الفيلسوف والمؤرّخ السير إيزيا برلين Isaiah Berlin، دراسة حول الزعامة السياسية عنوانها: «القنفذ والثعلب" The Hedgehog and the Fox»، وقد تناول في كتابه دور العظماء وتأثيرهم في مسار التاريخ، وأشار إلى ما اعتبره تمييزاً جوهرياً بين نوعين من البشر:

- أوَّلهما أولئك الذين «يمتلكون فكرة عظيمة»، وعليه فإنَّهم يصوغون مفهومهم للعالم وفكرهم ومشاعرهم على أساس تلك «الفكرة العظيمة»، ونتيجة لذلك تكون رؤاهم شاملة ومترابطة ومتكاملة.
- أمَّا النوع الثاني من البشر فيسعون إلى تحقيق أهداف عديدة قد يناقض بعضُها بعضاً.

واستناداً إلى التجلّيات التي احتواها هذا الكتاب يبدو أنَّ المغفور له الشيخ زايد من القِلَّة القليلة التي نجحت في الجمع بين المبادئ الأساسية والسياسة البراجماتية، ويتضح بجلاء أنَّ الشيخ زايد كان «يمتلك الفكرة العظيمة»، وهي أنَّ التفرُّق هو اللعنة التي حلَّت بالشعوب العربية

وأدَّت إلى تراجعهم بعد الانتصارات التي حقَّقوها في فجر تاريخهم، فالإمبراطورية العظيمة التي أقاموها وساد حكمُها ذات يوم من قرطبة في الغرب إلى كابول في الشرق قد ضعفت بسبب خلافات وانقسامات لا نهاية لها، وكان الشيخ زايد قد رأى مخاطر الخلافات والفرقة في منطقة الخليج العربي.

ويمكن تقسيم مسيرة المغفور له الشيخ زايد بمجملها إلى أربع مراحل تاريخية هي:

- **أولها**: فترة التدريب واكتساب الخبرة التي امتدَّت من العشرينيات حتى عام 1966، التي تشكَّلت فيها معاييره وقيمه الإنسانية ومبادئه وحدسه السياسي.
- **ثانيها**: فترة الإنجازات بين عامي 1966 و1971، التي استطاع خلالها أن يضع مبادئه موضع التطبيق العملي ويُسخّرها لمصلحة إمارة أبوظبي، مقدّماً بذلك مثالاً يُحتذى به في العزم والمثابرة والمشاركة الشخصية في عملية التنمية.
- **ثالثها**: تمتدُّ من 1971 إلى 1981، وقد شهدت تغيُّرات جوهرية وتحوُّلات سياسية، إذ استطاع أن يحقّق حلماً ظلَّ يراوده، وهو تحقيق الوحدة بين أبناء الإمارات.
- **الرابعة**: هي المرحلة التي بدأت عام 1981 وما تزال مستمرَّة إلى يومنا هذا، وهي فترة التنمية المتواصلة وترسيخ دعائم الدولة الراسخة التي تبرز كدولة قوية لها مكانتها واحترامها في العالم باعتبارها نموذجاً للتطوُّر الاقتصادي والاجتماعي السلمي، وقد اقترنت رؤية المغفور له الشيخ زايد لقيمة الوحدة بمفهوم التكامل

الإقليمي الذي دعا إليه حتى تمَّ تأسيس مجلس التعاون لدول الخليج العربية.

المعاصرة والتطوُّر من خلال الشراكة مع الشعب

كانت لدى الشيخ زايد رؤيةٌ واضحةٌ حول خلق شراكة مع الشعب بكل فئاته، وحول العمل الجماعي الذي يضمن النجاح في تحقيق الغايات، ولو تأمَّلنا في مسيرة حياة الشيخ زايد لرأينا أنَّه اتبع ما يمكن اعتباره أهدافاً عربية أصيلة مثل:

- المحافظة على القيم الأسرية والترابط الاجتماعي، ولكن بأساليب حديثة، وقد نجح في التصدّي للعديد من الآثار السلبية الواضحة للنموذج الغربي للتنمية، مستفيداً من فوائد التقدُّم الغربي في المجالين التقني والاقتصادي، وقد تطلَّب تحقيق هذا التوازن الدقيق مهارة إدارية ورؤية بعيدة المدى.
- وكان الشيخ زايد دائماً يرى أنَّ موارد الدولة هي ملك لشعب الإمارات، ولذا فقد وُزّعت الثروةُ بسخاء وحكمة، لتحقيق تنمية ملموسة في حياة المواطنين.
- وشهدت دولة الإمارات تطوُّراً مذهلاً في جميع نواحي الحياة الصناعية والتجارية والسياحية والاجتماعية والاقتصادية وتقدُّماً في التعليم والرعاية الصحية، تضعها على قدم المساواة مع الدول المتقدّمة ذات الدخل المرتفع في العالم.
- وينعكس نجاحُ دولة الإمارات في تطوير مواردها البشرية واستثمارها خير استثمار في التقدُّم العلمي والتقني، حتى أضحت الدولةُ ملتقى لأهم المؤتمرات والتجمُّعات الدولية.

- كما جذبت البنيةُ التحتيةُ والتقنية المتميّزة المستثمرين الأجانب واستضافت أهمَّ الأحداث الرياضية والثقافية العالمية حتى أصبحت مقصداً سياحياً.
- لقد التزم الشيخ زايد بأحكام الإسلام التي حدَّدت وجهته ومنحته الطمأنينة، فلقد عبَّر عن قلقه من الأعباء المترتّبة على المغالاة بالمهور، كما وجَّه بإنشاء صندوق الزواج ليسهل على مواطني الدولة الزواج والعيش في كرامة، وشجَّع الأعراس الجماعية، ووفَّر منزلاً لكل مواطن دون تحميل المواطنين مزيداً من الأعباء المالية.
- كما شجَّع المغفور له الشيخ زايد المرأة على تبوُّء مكانتها التي تستحقُّها في المجتمع، وحرص على المساواة في التعليم وفرص العمل بينها وبين الرجل.
- واستطاعت دولة الإمارات أن تُنتج مياهاً توفّر لسكَّانها أعلى مستوى استهلاك من المياه العذبة للفرد في العالم، وزادت الرقعة الزراعية والمحميات الطبيعية.

الإرث الطيّب

ترك المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمه الله، وراءه دولةً مستقرَّةً ومزدهرةً وسبَّاقة إلى المبادرة، يقطنها مواطنون يُعبّرون عن حبّهم لوطنهم وفخرهم به، وتمَّ تطوير قوَّات دفاع مجهَّزة تجهيزاً جيداً، وتحظى بهيبة دولية متزايدة، وقد تحقَّق ذلك كلُّه بفضل نشاطاته الشخصية منذ تأسيس الدولة في عام 1971.

تتسم سيرةُ الشيخ زايد بالتفرُّد بين سِيَر من أسَّسوا دولاً جديدة في القرن العشرين، ولقد أوجز الشيخ زايد جوهر تفكيره السياسي بقوله: «**نؤمن أنَّ الثروة بحدّ ذاتها لا قيمة لها ما لم تُسخَّر لخدمة الشعب وتحقيق ازدهاره، ولا يمكن بناءُ الدول على الأماني، ولا تتحقَّق الآمال بالأحلام. لقد وقف اتحادنا ثابتاً في وجه الأزمات، وازدهر من خلال العمل الجاد والمثابرة والتضحية، وبوضع مصالح الدولة فوق أيَّة مصلحة أخرى، وبهذه الطريقة يمكننا تحقيق أهدافنا وتقوية أساس دولتنا، والحفاظ على استقرارها**».

كان مفهوم الشيخ زايد الأساسي للتنمية يتمثَّل في الحاجة إلى التغيير المنتظم والابتكار المستمر، فقد بدأ كثير من الدول الجديدة بمبادئ عالية، ثمَّ انتهى بها المطاف إلى الجمود وعدم الحركة، وتركت شعوبها تعاني حياةً أسوأ من الحياة التي خلَّفتها القوى الاستعمارية.

أمَّا في الإمارات فقد وضع الرئيس الموحِّد منظومةً مصمَّمة لتنمو وتتغيَّر بحيث تمتدُّ كفاءتُها وتصل إلى تطوير أفكار جديدة، وبعدما انطلقت الإمارات انطلاقةً كاملةً، سعى إلى وضع منظومات متطوّرة لتحسين مستوى الأداء، ليس في الإمارات فقط، بل امتدَّ تأثير تطوُّر الإمارات إلى الدول العربية وبقيَّة دول العالم.

يعدُّ العمل الخيري أحد الإنجازات المعبّرة عن طموحات الشيخ زايد، من خلال مساندة شعبه والمحتاجين في جميع أنحاء العالم، وقد تخطَّى ذلك حدود حب الإنسانية وتوزيع المال، فقد أراد الشيخ زايد حلَّ المشكلات على نطاق واسع، وهذا ما يسمَّى «العمل الخيري الاستراتيجي»، وفي الواقع فإنَّ ممارسته لأعمال المشاركة الوثيقة التي طوَّرها على مدى

عقود في دولة الإمارات، أصبحت الآن هي النموذج المفضَّل للمؤسَّسات الخيرية في جميع أنحاء العالم، فهي تحقّق قيمة عندما تحقّق أنشطتُها منافعَ اجتماعية تتجاوز مجرد القدرة الشرائية للهبات التي تقدّمها وعندما تُخصّص دولةٌ ثريةٌ جهودَها وتتفانى في العمل الخيري الاستراتيجي، فإنَّها تكسب قوَّة إضافية تجعلها متفوّقة حتى على أغنى المؤسَّسات أو الدول، وبالتالي فإنَّ جعل هذا النشاط يتخطَّى حدود الطموح الشخصي أو المؤسَّسي ليكون أحد المبادئ الأساسية لأهداف الدولة.

كان الشيخ زايد يعتمد دائماً على خبرته الشخصية، وكان يدرك أنَّ خبرته لم تكن كافية، ولهذا لم يكن لديه أي خوف من التغيير والابتكار، وفي مجالات حياته التي لم تكن تحكمها الضرورات السياسية، مثل حماية البيئة، فقد أضنته وهو يسعى إلى تحديد وتحقيق أهداف طويلة الأجل، والعمل بشكل منهجي لتحقيقها.

وعند التعامل مع الأزمات السياسية مثل القرار البريطاني بالانسحاب من المنطقة عام 1968، فقد كان يعي مسارات الأحداث، وكان يكيّف مواقفه مع ما تقتضيه متغيّراتُها، وتوصَّل في النهاية إلى الموقف الذي أراده منذ البداية، وهو: تأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة وفق الشروط التي أرادها.

كما كان متحدّثاً رائعاً قادراً على إبهار مستمعيه والاستحواذ على انتباههم وإقناعهم وتقريب وجهة نظره إليهم، ولم يره شعبه أبداً شخصية بعيدة عنهم، بل رأوه قريباً منهم جميعاً، وكان باستطاعتهم طرح مشكلاتهم عليه مباشرةً، وفقاً للتقاليد القبلية الأصيلة.

كما كان واقعياً ومبدعاً، والواقعية والإبداع موهبتان ضروريَّتان في

عالم دائم التغيير، ومع ذلك فلم يقبل أي انتقاص من قيمة التقاليد، بل كانت التقاليد بالنسبة إليه لبنةً للتلاحم المجتمعي؛ فزاوج بين الأصالة والمعاصرة وبين التقاليد والحداثة، وكان التسامح من أعظم فضائله حتى في المواقف التي من السهل الاستسلام فيها للعصبية.

الإمارات والمستقبل

كان تأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة في عام 1971 نقلة حاسمة في حياة المغفور له الشيخ زايد، حين ارتقى إلى مستوى التحدّي وأصبح رئيساً نال محبَّة المواطنين وإعجاب الوافدين كقائد أولاً وإنسان أولاً وأخيراً، ومن هنا حرصت دولة الإمارات على التمسُّك بمبادئ الشيخ زايد على جميع المستويات، وتشهد الحكومة اليوم تغييراً وإصلاحاً مستمرَّين استرشاداً بمبادئه، وتلبية لاحتياجات الجيل الجديد ومتطلَّباته الآنية والمستقبلية، حيث تبنَّت الإمارات التخطيط العلمي والمنهجي انطلاقاً نحو الإصلاحات التي يتعيَّن تحقيقها بحلول عام 2030، سيراً على نهجه القويم وإرثه العظيم الذي تتطلَّع إليه الدول بإعجاب، نظراً لاستناده إلى قيم السلام والحرية والتسامح والسعادة، وهي العناصر التي تشكّل أسس بناء المجتمع الحديث.

المؤلف:

مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية:
أنشئ في 14 آذار/مارس 1994 بهدف إعداد البحوث والدراسات الأكاديمية للقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتعلقة بدولة الإمارات والعالم العربي، وإعداد الكوادر البحثية وتدريبها، وخدمة المجتمع، من خلال نشر الكتب والبحوث وعقد المؤتمرات والندوات.

كتاب في دقائق

ملخصات لكتب عالمية تصدر عن
مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

زايد

من التحدّي إلى الاتحاد

تأليف:

جوينتي ماتيرا

وزارة شؤون الرئاسة - الأرشيف الوطني

البدايات

تقع على الجيل الحالي من المثقَّفين الإماراتيين مسؤولية فهم تاريخ بلادهم بالاعتماد على مصادر مختلفة لتكوين صورة حيادية ومتكاملة، لذلك تأتي هذه الخلاصة لتوجزَ دراسةً كبيرة اعتمدت على مصدرين أساسيين هما: المكتبة البريطانية، والأرشيف الوطني، وهذه الدراسة فريدة في بابها لأنَّها اعتمدت على الوثائق الأرشيفية، ونادراً ما استعانت بالكتب أو المصادر المطبوعة، ولسوف نستعرض هنا وبتسلسل زمني، ثلاث مراحل مميَّزة ومهمَّة في حياة الشيخ زايد السياسية، حيث كان ممثلاً لحاكم أبوظبي في العين، ثم حاكماً لإمارة أبوظبي، ثمَّ رئيساً للدولة.

وُلِد الشيخ زايد عام 1918 بمدينة أبوظبي في قصر الحصن، مقر الحاكم، وهو رابع أبناء الشيخ سُلطان بن زايد الذي حكمَ الإمارة من عام 1922 حتى عام 1926. يرجع نسب الشيخ زايد ـ سليل أسرة آل نهيان ـ إلى قبيلة آل بو فلاح من بني ياس، أحد التجمعات القبلية الرئيسة في الخليج العربي، التي هاجرت من منطقة نجد في شبه الجزيرة العربية.

تلقَّى الشيخ زايد دروساً أساسيةً في القراءة والكتابة وتعاليم الإسلام شأنه ـ شأن أقرانه. كان يدرس القرآن باستظهار آياته وسوره، وتعلَّم أنَّه كتاب حياة يُرجع إليه في كل شأن، وكان يحفظُ كثيراً من شعر المتنبّي،

ويُحب القراءة، ويستمتع بإلقاء الشعر العربي القديم. باستثناء التعليم الديني، كان ما تعلَّمه الشيخ زايد في معظمه تعلُّماً ذاتياً، فلم يكن له معلّم لغات أو رياضيات أو تاريخ، وفي سنواته الأولى في أبوظبي كان يقضي معظم وقته في مجلس والده الشيخ سلطان بن زايد حاكم الإمارة، ما ساعده على تعلُّم الدبلوماسية لدى البدو، وملامح ديمقراطية الصحراء.

كانت «الشيخة سلامة» والدة الشيخ زايد، تتمتَّع بشخصية قوية، وبرباطة جأش عظيمة، وقد أخذت من أبنائها عهداً بألا يلجؤوا إلى العنف أو إيذاء أحدهم الآخر. احتفظت الشيخة سلامة بمكانة رفيعة في مجالس أسرتها، ولم يتوقَّف أبناؤها عن استشارتها. وإعجاباً بدورها البارز في حفظ السلام والاستقرار في أبوظبي، أطلقت عليها السلطات البريطانية لقب «السيدة الأكثر نفوذاً في الساحل المُتصالح»، وكان زايد هو الأقرب إلى أمّه وقيمها.

نقطة الانطلاق الأولى

تولَّى الشيخ شخبوط بن سلطان حُكم أبوظبي في عام 1928، وقد عهد لأخيه الأصغر زايد بولاية العين ومراقبة ولاة القرى الأخرى في أبوظبي. كان زايد حينها في العشرينيات من عمره، لكن أخاه كان يدرك إمكاناته الواعدة. استقبل السُّكَّان المحليون هذا الخبر باستحسان كبير، فقد كان ذا شعبية واسعة بسبب اهتمامه بالناس، وأبدى الشيخ الشاب فهماً حقيقياً لأساليب السياسة القبلية.

كانت مهمَّة زايد الأساسية في العين أن يمثّل مصالحَ الأسرة الحاكمة في أبوظبي، وأن يضطلع بمهام الزعامة على قبائل الواحة، بعد أن أوكلت

إليه السلطة الإدارية في الواحة والمنطقة المحيطة بها. تضمَّنت مسؤولياته جمع زكاة التمر في العين، والهيلي، والجيمي، والقطارة، وكان يجمع الضرائب على الماء أيضاً من مستخدمي الأفلاج التي كانت تحمل الماء إلى الواحة، وكانت أهم مسؤولياته في الواحة تطبيق القانون وإحلال النظام في منطقة عُرفت بغياب القانون، ورغم ندرة المساعدات وشحّ الأموال، استطاع زايد السيطرة على الوضع في المنطقة بفضل شخصيته الآسرة وعزيمته القوية. استتبَّ الأمن في المجتمع بعدما تخلَّص زايد من مثيري المشاكل، وعيَّن بعضهم ليكونوا جزءاً من المسؤولين عن تنفيذ القانون في العين وما جاورها.

وكان لجولاته التفتيشية المُكثَّفة أثرٌ كبيرٌ في بناء علاقات الثقة والوئام مع شعبه، وأصبحت كلمتُه محل احترام وتقدير الجميع، وخضع له البدو وبخاصة «آل بو خيل» من «المناصير»، وجماعة «بن حم» التابعين للعوامر، وكان هذا إنجازاً بكل معايير تلك الحقبة الزمنية. احتفظ الشيخ زايد بمنصبه عشرين عاماً، وقد كوَّنت له هذه السنوات المبكّرة خبرةً عملية في مبادئ إدارة الدولة، وساعدته على تطوير أسلوبه القيادي الفريد في الدبلوماسية والحكم.

الشيخ زايد حاكماً لأبوظبي

بعد اكتشاف النفط في منطقة الخليج، كان على الدولة أن تقفز قرنين في عقدٍ واحد، وكان لا بد من اتخاذ قراراتٍ حاسمةٍ بشأن التحديث والتنمية ومواكبة المتغيرات العالمية، رغم كل ما يعنيه ذلك من تغير في أنماط الحياة، وتأثر المجتمع المحافظ بالانفتاح على العالم واستقبال الخبرات الأجنبية التي بدأت تشق طريقها إلى إمارة أبوظبي حيث

احتمالات النمو. وكان لا بد في مثل هذه الظروف من الموازنة بين التليد والجديد، والعصري والتراثي، والماضي والمستقبل، مع التركيز على استثمار الثروات التي شكلت فرصةً تاريخية للتنمية الاقتصادية خصوصاً، والتنمية الشاملة عموماً.

في ظل هذه التحولات أجمع كبارُ أسرة آل نهيان على اختيار الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكماً لإمارة أبوظبي. وتلقَّى الناس هذا الخبر بالابتهاج والتفاؤل والحماس، وأسهم الحدث في عودة الكثير من السكان الذين كانوا قد غادروا الإمارة إلى الدول المجاورة إثر تدهور الحالة الاقتصادية، وقام حكَّام الإمارات المتصالحة ونوَّابهم، والبحرين وقطر المجاورتين بزيارات ودّية للترحيب بالحاكم الجديد، ووصلت رسائل تهنئة من ملك الأردن، وأمير الكويت، والملك فيصل، ورد الشيخ زايد على إشارات حسن النية بأن أعلن أنَّ سياسته الخارجية ستكون «علاقة تعاون وصداقة مع جيرانه»، وعبَّر عن تطلُّعه لمقابلة الملك فيصل وسلطان مسقط في أقرب فرصة.

المُثل العليا عند زايد

أحد المتطلبات والمحددات الرئيسة لتقييم إنجازات الشيخ زايد يكمن في الفهم الكامل لطريقته الفريدة في التفكير ودأبه ونشاطه الكبير، فقد كان من عاداته أن يعبر عن مثله العليا، ويشرح كيف كان يسعى إلى تجسيدها على أرض الواقع، بأقوال بسيطة لكنها محفزة للفكر وتسترعي الانتباه. هناك أولاً بذور ولآلئ الحكمة التي تجلت مظاهرها بحضوره الكبير وفطنته الأصيلة، فضلاً عن سجية المعرفة البدوية التي تحلى بها زايد، والتي انعكست على سجاياه وفلسفته الأساسية في الحياة والحكم،

وتمثلت بالإرث الرائع الذي أودعه للأجيال القادمة. بعد تسلم زايد مقاليد السلطة كَرَّس جُل وقته في إطلاق برامج الإصلاحات السريعة التي حولت أبوظبي تحويلاً جذرياً من منطقة قبلية إلى مدينة حديثة. كان مفهومه للتقدم والتنمية مبنياً على اعتقاده الراسخ أن الدين يحض على التقدم وينادي به، ولا يوجد شيء في القرآن الكريم أو التراث يتعارض مع التقدم وقد حثه إيمانه بالإسلام والعروبة على العمل لمصلحة بلده وشعبه، وكما كان يؤمن بأن: «أفضل ما في التقدم المادي في الغرب قد تحقق اعتماداً على تراث المسلمين». وقد قدم الحقيقة التي بنى عليها مفهومه للتقدم المادي والأخلاقي بكلماته التالية: «تتطلب الحضارة الحقيقية تقدماً علمياً وأخلاقياً، وكل منهما يكمل الآخر... في الواقع سيكون ضرر تقدمنا المادي أكبر من نفعه ما لم يرافق تقدماً ثقافياً واجتماعياً يمثل قاعدة لحضارة يمكن بها أن نوجد مجتمعاً مبنياً على التقاليد العربية الصحيحة، مجتمعاً يمكنه المحافظة على هذه التقاليد من أجل البلدان العربية الأخرى». وأكد على أهمية اتباع الطريقة الوسطية التي تجمع بعقلانية بين التراث الإسلامي والعالم الحديث.

وانطلاقاً من هذه المقدمة كان زايد يسعى إلى بناء مجتمع جديد مبني على الرخاء والعدالة والكرامة، وهدفه الرئيس هو سعادة بلده وشعبه، وكان يرنو إلى تأسيس «دولة رفاهية حديثة» على قاعدة التقاليد العربية الإسلامية.

كما مثلت الأسرة المترابطة والمستقرة، والمجتمع القوي الراسخ في القيم التقليدية لدى الشيخ زايد منزلة أكثر أهمية من الثروة الكبيرة والخير المادي اللذين لم يكونا يعادلان عنده السعادة، أو يقيمان الحياة بشيء من الدقة. فلقد ظل شيخاً من شيوخ الصحراء، وكانت رسالته

في الحياة تمثل اندماجاً وتوازناً بين التقدم والمحافظة، وبين التحديث والتقاليد. وينبغي أن نقر بأن إرساء تلك الموازنة لم يكن سهلاً البتة، لكنه كان مرتكزاً أساسياً عند زايد لتحقيق الاستقرار طويل الأمد.

فلسفة الشيخ زايد في الحكم

تمتَّع الشيخ زايد بشخصية عملية، وامتاز باتباع نهج إنساني في التعامل مع شؤون الدولة. ارتكزت فلسفته في الحكم على قناعاته الراسخة وخبراته العملية، لا على النظريات المُجرَّدة والمعرفة الشكلية، ولم يكن عربُ الصحراء المؤمنون بالفردية والمساواة قد ألفوا قيود الحكم واعتادوا عليها، ولم يحاول الشيخ زايد ممارسة سلطاته كحاكم مستبد، بل كان يؤمن أنَّه لا يمكن للقائد أن يكسبَ حبَّ شعبه إلا إذا نال ثقتهم، فيكون لهم كالأب لأولاده: يعتني بشؤونهم، ويهتم بمشكلاتهم، ولا يفضّل أحدَهم على الآخر.

وفيما يتعلَّق بعلاقة الحكومة والشعب، كان جوهر دبلوماسيته تنمية التفاهم المتبادل الذي يدعمه الحوار. أراد الشيخ زايد الحفاظ على نموذج في السلوك يعتمد على التواصل الليّن الذي يُحقّق النتائج ولا يضرُّ بالصداقة بل ويوطد العلاقة. ومن مبادئه التي صاغها بنفسه هو أنَّ من كان في موقع المسؤولية يجب أن يدركَ حدود سُلطته في تسوية الأمور، لأنَّه يتعامل مع إدارات مختلفة، وعندما لا تغطّي التعليمات السارية، المشكلات المشتركة، أو عند وجود اختلاف في الآراء، يجب الرجوع إلى السُّلطة العليا، والحيلولة دون أن يتحوَّل الخلاف إلى نزاع شخصي.

أظهر الشيخ زايد بعد نظرٍ ونُضجاً سياسياً بالتفكير في الاتحاد والتعاون

الخليجي في مسائل الدفاع، والسياسة الخارجية، والعملة، والمشروعات المشتركة مثل الطرق، وكان يرى أنَّ الاتحاد سيساعد على درء المخاطر الخارجية. وحرص على تعزيز الشورى والديمقراطية في عملية اتخاذ القرار، فطريقة الحوار والنقاش كفيلة بالوصول إلى أكثر الحلول قابلية للتطبيق، وقد حثَّ شعبَه على التعبير عن رأيه بصراحة، وأراد للشعب أن يشاركَ في إدارة الدولة.

لقد اعتمد أسلوب الشيخ زايد في الحكم على ثلاث ركائز: التشاور، والتوسُّط، والتفاعل في السياسة الداخلية والخارجية، وهكذا جمع بين المزايا النموذجية للسياسة القبلية التقليدية والسياسة العلمية الحديثة.

توزيع الثروة والوظائف

لا يجادل أحد في أن عوائد النفط وضعت أبوظبي على عتبة ازدهار غير مسبوق، لكن الشيخ زايد، كان يرى بفكره المستنير وأسلوبه المميز أن تلك الثروة «ملك للأمة كلها وليست ملكاً لأي فرد بعينه، والقائد مجرد حارس للأمة وثروتها». وكانت إصلاحاته التي بدأها في أبوظبي ترتكز على إيمانه بأنه «إذا كان الله عز وجل قد من علينا بالثروة، فإن أول ما نلتزم به لإرضاء الله وشكره، هو أن نوجه هذه الثروة لإصلاح البلاد وسوق الخير إلى شعبها ببناء مجتمع يتوافر فيه المأكل والمشرب ومرافق التعليم والرعاية الصحية والإسكان».

ولكي ينجز أهدافه السامية ويحقق طموحات شعبه، كان شعاره الذي صاغه بنفسه: «لا قيمة للمال إذا لم يسخر لخدمة الشعب». وقد بنى قناعاته على مبدأ الصلاح بأن السلطة قد أوكلت إليه لحماية مصالح الشعب وسيكون بلا فائدة للشعب إن عاش لنفسه واستغل ثروة البلاد لمصالحه الشخصية.

توطين البدو

من أهم ما حرص عليه الشيخ زايد أيضاً توطين البدو في مجتمعات زراعية؛ فَضَنَكُ العيشِ الذي كانوا يقاسونه في سنوات القحط كان مصدر قلق له، ورأى أنَّه لا يتلاءم مع الثراء الذي تتمتَّع به أبوظبي، وفي رحلة صيد إلى المناطق الداخلية عام 1966، أثار اهتمامَه وجود كمّيات من المياه الجيدة بين «طريف» و«ليوا»، فعهد إلى شركة نفط أبوظبي بفحص بعض العينات لقياس نسبة الملوحة التي حسبها أكبر قليلاً من مياه البريمي، وكان قراره أن يأتي في مطلع العام القادم ويبدأ بزراعة بساتين النخيل لتقام حولها مدن وقرى.

بالطبع لا يخلو التحوُّل في أسلوب الحياة من المشكلات، وكانت أكثر المشكلات إلحاحاً تأثير ارتفاع استهلاك الماء في مستوى المياه الجوفية، ومدى مناسبة التربة للزراعة، وقدرة رجال القبائل على التكيُّف مع الحياة الجديدة ليصبحوا ملاكاً صغاراً قادرين على إعالة أنفسهم، ورغم كل الحوافز المشجّعة للبدو على الاستيطان، والحماسة التي أبدوها.

كان الشيخ زايد يشعر بالقلق من أن يؤدّي برنامجه للتطوُّر السريع إلى تفكُّك البنية القبلية ونمط الحياة التقليدي للبدو، لكنَّ ذلك لم يحدث، لأنَّ الحفاظ على التراث والتقاليد كان قضية أساسية بالنسبة إليه، وظلَّت الحياة القبلية قوية، ولم تظهر تغيُّرات سلبية على المنظومة الأخلاقية.

دبلوماسية زايد الشخصية

لم يكن نجاح الشيخ زايد في الحكم نابعاً من جهازه الإداري أو مشاوراته العائلية، بل يمكن أن يعزى إلى «دبلوماسيته الشخصية» التي

كانت بحق حجر الزاوية في ذلك النجاح. ولطالما أكد الشيخ زايد أن: «القيادة والشعب كيان واحد متكامل وغير قابل للتجزئة، وإنه لا حواجز البتة بين الحاكم والمحكوم». وطبقاً لممارسات آبائه وأجداده كان «يتبع دائماً سياسة الصراحة الكاملة والباب المفتوح» في اجتماعاته مع المواطنين والمسؤولين، وكان يرى أن: «القائد إذا تجنب شعبه فسيكون من المستحيل عليه معرفة حاجاتهم الفعلية بدقة، وهذا يؤدي إلى النفور والغربة، وإلى انصراف السكان عن مثل هذا القائد المغرور».

تطوُّر التعليم في الأعوام الأولى

بعد وصول الشيخ زايد إلى السُّلطة، بدأت مرحلةٌ جديدةٌ من تنمية التعليم في الإمارة. انصبَّ اهتمامه الأول على بناء الإنسان، إذ كان يؤمن أنَّ الشعب هو المورد الأهم لبلده، أمَّا المال فهو عرضٌ زائل. اتخذ الشيخ زايد الخطوة الأولى في الاتجاه الصحيح بتأسيس إدارة جديدة للتعليم برئاسة الشيخ حمدان بن محمد في عام 1967، وعيَّن الدكتور «هارولد سبنسر» مديراً للتعليم في أبوظبي. أعدَّ المدير خطةً تعليمية شاملة، أكَّد فيها أهمّية التعليم الابتدائي، والمدارس الريفية، ومحو أمّية الكبار، ثمَّ أُعدَّت خطَّة أوسع ترسم الخطوط الأساسية لتطوير التعليم على سبع مراحل بالإمارة.

اتخذت إدارة التعليم مبادرة مهمة لمحو أمية الكبار، وفَتحت مدارس مسائية، وصفوفاً ذات طابع مهني وتجاري للبالغين الذين لا يعرفون القراءة والكتابة، وأعدَّت صفوفاً خاصة للعاملين في المجال الطبي من الوافدين للحفاظ على الأرواح والمعدَّات، وتلقَّى الموظَّفون الحكوميون الذين يقودون سيارات حكومية دروساً في تشغيل المحرّكات، ونُظّمت

دورات تدريبية على تركيب الأنابيب، وتمديد الأسلاك الكهربائية، واللحام، والنجارة، والزجاج كجزء من البرنامج التعليمي.

توحيد عملات الخليج

عندما تسلَّم الشيخ زايد السُّلطة في عام 1966، كان قد مضى بعض الوقت على انشغال البريطانيين بإدخال نظام نقدي إلى دول الخليج، وكان احتمال اعتماد عملة خليجية موحَّدة من الفوائد غير المقصودة لانخفاض قيمة الروبية الهندية، وُقّعت اتفاقية لتوحيد عملة الخليج في عام 1965، وقَّعها حكَّام قطر والبحرين وأبوظبي ودبي، وعندما جاء الشيخ زايد إلى الحكم، حرصَ على استكمال هذه الخطوات لتحقيق هذا الحلم، وبدأ بخطوات عملية، فعقد اجتماعاً دعا إليه حكَّامَ دول الخليج الثماني لمناقشة موضوع العملة المشتركة، وعندما برزت هذه القضية في مناقشاته مع المقيم السياسي البريطاني، نَقل إليه أنَّ الحكَّام الثمانية ـ عدا حاكم البحرين ـ قرَّروا المضي قدماً في إصدار عملة مشتركة، وكانت هذه مبادرة استشرافية شجاعة، رغم أنَّها لم تتحقَّق في نهاية المطاف.

في عام 1967، وبعد عودة المقيم السياسي البريطاني من زيارته إلى الكويت، نقل إلى الشيخ زايد عن أمير الكويت أنَّه ليس لديه اعتراض على توحيد العملة، بشرط أن يقوم تغيير العملة في الخليج على الروبية لا على الدينار كوحدة للعملة، وفي عام 1968 أشار «نديم الباجه جي» على الشيخ زايد بألا تظلَّ العملة مرتبطة بالدينار البحريني، بل يجب إصدار دينار خليجي، فإن لم يكن ذلك مقبولاً من الجميع، عليه أن يصدر عملة لأبوظبي، فأوضح له الشيخ زايد أنَّ أهم أسباب فشل المحاولة السابقة لتوحيد العملة كان إصرار قطر على أن تكون الدوحة مقر مجلس

العملة، لكن «الباجه جي» استشهد بمثال مجلس النقد العراقي الذي كان مقرُّه لندن، وفي ظل انشغال الشيخ زايد بالمفاوضات الخاصة باتحاد الإمارات، وُضِعَت قضية توحيد العملة جانباً، بعد أن أرسى أساساً لسياسة مالية مهمة للمنطقة.

العلاقات بين دول الخليج

انطلقت علاقات الشيخ زايد إلى بداية جديدة مع «آل ثاني» في قطر، وقام بزيارتها في نوفمبر عام 1966، بعد 40 عاماً من آخر زيارة قام بها والده، وفيما يتعلَّق بالخلافات الحدودية بين قطر وأبوظبي، فقد قال المقيم البريطاني «ستيوارت كراوفورد» بأنَّه يثق بقدرة الشيخ زايد على التفاوض مع جيرانه، وأنَّ لديه قناعة بأنَّه يستطيع التوسُّط بين دول الخليج، في إشارة إلى الخلافات بين قطر والبحرين.

أمَّا العلاقات مع المملكة العربية السعودية فقد كانت مهمَّة لاعتبارات سياسية واقتصادية واستراتيجية، ولذلك عمل الشيخ زايد كل ما بوسعه لتحسين العلاقات معها. كان الشيخ زايد يقدّر الملك فيصل تقديراً كبيراً، حيث كان رحمه الله يدرك أنَّ المودة والدبلوماسية وروح التعاون والحوار، هي الأسس التي تبنى عليها علاقات الأخوة والجوار، ومن ثم فقد سنَّ سُنةً دبلوماسية حسنة وهي أن تكون الأخوة والصداقة هي أساس العلاقة، وهكذا ظل الأمرُ الأسمى هو احترامه الشديد لجارته الكبرى، ورغبته في التعاون مع الملك فيصل، وأبدى استعدادَه لإلغاء تأشيرات دخول المواطنين السعوديين إلى أبوظبي، بشرط موافقة السعودية على المعاملة بالمثل.

مشكلات جديدة وحلول مبتكرة

لا يمكن لطريق التنمية والتغيير أن يخلو من العراقيل، وبخاصة أنَّ سرعة الأداء كانت من أهم سمات العمل عند الشيخ زايد، وفي بلد كان يعاني ضعف البنية التحتية، أتت هذه السرعة بنتائج عكسية لم يكن يتوقَّعها، واجه الشيخ زايد مشكلات جديدة، فمراحل التطوُّر التي أطلقها تطلَّبت حلولاً ذكية، وحين اتضحت له النتائج السلبية لفلسفة الإنجاز السريع، تبنَّى نهجاً أكثر حذراً يقوم على التخطيط.

في ظل ارتفاع عوائد النفط والثراء الذي شهدته الإمارة، برزت حاجة مُلحَّة إلى وسائل فعَّالة لإدارة التوسُّع الضخم في النفقات والعوائد. تضاف إلى ذلك المشكلات الاجتماعية والعمالية المرتبطة بالتوسُّع. من المشكلات التي واجهته حينذاك، إضراب العمَّال في موقع بناء المطار. نتجت هذه المشكلات عن دفع أبناء القبائل للعمل بالطرق الحديثة، ولم تكن رؤية الشيخ زايد للأمور متوافقة مع رؤية الجميع، فأدرك منذ البداية ضرورة تغيير نظام العمل، ولكنَّه كان حازماً في تعامله مع القلاقل أيضاً، ولذلك أعلن قانون العمل الجديد في أبوظبي في 28 نوفمبر 1966، وفيه صيغت قوانين تنظّم العلاقة بين العامل وصاحب العمل بحيث تصبح تشريعاً قابلاً للتنفيذ أمام المحاكم.

علاوة على ذلك كان النقص في المواد الأولية عامةً، وفي الإسمنت والماء بخاصة، والخدمات الأساسية مثل الكهرباء، يثير قلق التجَّار والشركات الاستثمارية، الطبيعة «المختلطة» للكوادر التي تمَّ توظيفها في البداية، وبعد معاينة جميع أسباب الركود، أصبح من المؤكَّد أنَّ الحلَّ الوحيد للخروج من هذه المشكلات هو إعادة تنظيم الهيكل الإداري

الحكومي، وتحقيق التوازن بين سياسة الحاكم على المدى البعيد، وبين ما يمكن تحقيقه على المدى القصير.

تمَّ تكليف مجموعة من الاستشاريين بوضع خطط التطوير المرحلية الخاصة بأبوظبي، ونصح أحدهم الشيخ زايد بتجنُّب المشروعات المفرطة في الإنفاق وغير الاقتصادية، وفيما يتعلَّق بمستقبل الدولة وحجم الهجرة إليها، تمَّ تأكيد ضرورة توافر معلومات دقيقة حول حجم السكان الحقيقي، وتضمَّنت الحلول التي اقترحها المستشارون خططاً لتوزيع الوافدين بين أبوظبي والمناطق الأخرى في «البريمي» و«ليوا» حيث يبدو الاستيطان ممكناً.

عام 1969 ومشكلاته المالية

اتسمت الأوضاع الاقتصادية في عام 1969 بالصعوبة لأنَّ عائدات النفط كانت أقل من التوقُّعات، وكانت الإمارة ملتزمة بسداد دفعات للمورّدين الذين يعملون في مشروعات التنمية الطموحة، ولكنَّ الدفعات والأجور تأخَّرت منذ الربع الأخير من عام 1968، ما سبَّب ضرراً وتأخيراً للمشروعات، وكانت هناك مخاوف من أن يؤدّي هذا الوضع إلى إضراب العمال، وحالة من الفوضى الاقتصادية، فتأثَّرت أسعارُ التجزئة بسبب القروض غير المدفوعة في السوق، وبدأ الناس يعانون ارتفاع الأسعار، وتضرَّر التجار والمقاولون الأجانب، وبدأ عدد المغادرين يزيد على عدد الوافدين بسبب الأزمة الاقتصادية، وبلغ حجم مديونية مشروعات التنمية في أبوظبي عام 1969، 30 مليون جنيه إسترليني، وكان هذا عبئاً كبيراً على الإمارة تمَّ تحميله لعام 1970.

أثارت هذه الأزمة ذعر المسؤولين، حيث وصل تأخُّر مستحقَّات موظَّفي الحكومة وأجورهم إلى ثلاثة أشهر، وكانت هناك مؤشّرات تؤكّد

امتداد هذه الحالة إلى القوَّات المسلحة، وقد ذكرت بعض التقارير أنَّ محمود حسن جمعة، مدير التخطيط في الإمارة، ومعه مدير بنك أبوظبي الوطني يُجريان بعض التحرّيات حول إمكانية الحصول على اعتمادات مالية لتمويل مشروعات بقيمة 60 مليون جنيه إسترليني.

قرَّر المسؤولون في ذلك الوقت أن يعهدوا إلى «الباجه جي» ـ المستشار المالي للحاكم ـ بمهمَّة تقديم المشورة والنصح بشأن الخطوات الطارئة التي ينبغي اتخاذها حتى يتم تعيين مدير للمالية. أخبر «الباجه جي» الشيخ زايد أنَّه ليس من الحكمة الحصول على قروض في الظروف الحالية، وكان الشيخ مقتنعاً بعدم ضرورة الحصول على قروض، وأنَّه ينبغي أن يبقي نفقاته في حدود عوائده.

وجَّه الشيخ زايد جهوداً مُركَّزة لإنهاء الأزمة الاقتصادية، وبدأ بعدد من الترتيبات الإصلاحية لتقليص الإفراط في الإنفاق على الخدمات والمشروعات، وبعد فترة بدأت النتائج الإيجابية تظهر للجميع. كانت أبوظبي في حاجة إلى عام هادئ لتتمكَّن من استعادة تماسُك مؤسَّساتها، وإعادة تنظيم عملها.

التحدّيات الداخلية والخارجية

في عامي 1967 و1968، وقع حدثان بارزان في المنطقة كان لهما أثر كبير في السياسة العربية. هذان الحدثان هما: الصراع العربي الإسرائيلي، وانتهاء الحكم الاستعماري في عدن نتيجة الانسحاب البريطاني من جنوب شبه الجزيرة العربية. أصدر الشيخ زايد مرسوماً أميرياً في 4 يونيو 1967 بوقف تصدير النفط إلى الدول التي تساند إسرائيل، وقال الشيخ

زايد: «لديَّ العديد من الأصدقاء البريطانيين والأمريكان، لكنّي عربي أولاً وأخيراً، ولذا أعطيت تعليمات صارمة بألا يتمَّ تحميل أية ناقلة نفط أمريكية أو بريطانية»، وفوق هذا ألزم أي ناقلة ـ بغضّ النظر عن جنسيتها ـ بأن تقدّم شهادة توضّح المكان الذي تقصده، وأن تقدّم بعد عودتها شهادة أخرى تثبت أنَّها فرَّغت حمولتها في نفس المكان.

أمَّا الحدث الآخر فهو إعلان الحكومة البريطانية في يناير 1968 عن انسحابها من الخليج بحلول عام 1971، وأدَّى ذلك إلى تحوُّل جوهري في تفكير الشيخ زايد السياسي. لقد أدرك أهمّية وضرورة الانتقال إلى مرحلة الاستقلال والاعتماد على النفس في فترة قصيرة، وكانت هناك حاجة ماسَّة إلى تقوية قدراته الدفاعية لردع المخاطر الداخلية والخارجية، وأصرَّ الشيخ زايد على تكوين قوَّة دفاعية عربية تضمُّ كشَّافة عمان المتصالحة، وأي قوات أخرى لاحقاً، وكان ـ رحمه الله ـ يأمل بوضع هذه القوَّة تحت تصرُّف جميع حكَّام الإمارات إذا احتاجوا إليها لصد أي خطر خارجي.

رؤية الشيخ زايد السياسية

عزَّزت تجارب الشيخ زايد إيمانَه بأهمية الوحدة العربية، وكان جوهر فلسفته السياسية هو أنَّ في الوحدةِ قوةً، حيث لا مكان في المستقبل للكيانات الهزيلة. كان يتمنَّى أن يتمكَّن من أداء دوره كاملاً في مجلس الإمارات المتصالحة، ومن توثيق علاقته بالحكام من خلال المساعدات المالية التي ينوي تقديمها، وأن يموّل المشروعات التنموية في الإمارات الأخرى، وقد وصلت مساهماته إلى 500 ألف جنيه إسترليني سنوياً.

وفي مطلع عام 1967 أعاد الشيخ زايد طرح رؤيته للإمارات المتصالحة

ومجلس المصالحة، وأعرب عن نيَّته بتقديم المساعدات للإمارات الشمالية المتصالحة، لأنَّه لا يريد أن يرى أحد الحكام يتجاوز حدوده بطريقة تقوّض الاتحاد. لقد كانت هناك عراقيل عديدة في طريق الاتحاد، حيث كان الاتحاد يتطلب تخلّي بعض الحكام عن جزء من سُلطتهم، ولكن لم تكن الخطوات العاجلة واضحة تماماً في البداية.

الوحدة بين أبوظبي ودبي

كان الوقت قد حان لكي يسعى الشيخان زايد بن سلطان وراشد بن سعيد إلى تسوية الخلافات الموروثة بينهما، التي كانت تقف حائلاً دون وحدة الإمارتين، وكانت مرتبطة بالحدود، وقد صرَّح الشيخ زايد بترحيبه بعودة العلاقات، واستجاب الشيخ راشد لمبادرته، وقد لاحظ المراقبون السياسيون أنَّ الشيخين يتمتَّعان بقوَّة وذكاء سيمكّنهما من توجيه باقي الإمارات إذا تغلَّبا على مشكلات الوحدة، وسارا في طريق الاتحاد.

كان واضحاً أنَّه إذا أصرَّت أبوظبي على المطالبة بحدودها مع دبي، فسيؤدّي هذا إلى حرمان الشيخ راشد من حقول النفط التي يملكها، فأظهر الشيخ زايد قدراً عظيماً من الحسّ الإنساني، وقال إنَّه لا يريد أن يحرم دبي من أي شيء، بل ويأمل أن يطولَ الرخاءُ الجميعَ.

بعد إعلان انسحاب بريطانيا من الخليج، عقد الحاكمان اتفاقاً ثنائياً في منطقة السميح، وأصدرا بياناً مشتركاً في 18 فبراير 1968 عن تأسيس الاتحاد بين الإمارتين بعلمٍ واحد، وتوصَّل الحاكمان إلى تسوية الخلاف حول الحدود البحرية في نفس اليوم الذي تمَّ فيه اتفاق الوحدة، وكان الشيخ زايد متعاوناً تماماً حتى أنَّه منح الشيخ راشد حقولَ النفط في

البحر، مُخاطِراً بالتعرُّض للانتقاد الشديد ممَّن كانوا يعتقدون أنَّه يتنازل عن مناطق تابعة لأبوظبي، لكنَّ سير الأحداث في المستقبل أثبت أنَّ هذه الأحكام لم تكن صحيحة.

اتحاد الإمارات العربية

تحوَّلت اتفاقية عام 1968 إلى خطَّة عمل واسعة، واجتمع حكام الإمارات المتصالحة والبحرين وقطر في دبي بين 25 و27 فبراير، وأعلنوا إنشاء اتحاد بين الإمارات، وكان التركيز على تبنّي استراتيجية موحَّدة في الدفاع والسياسة الخارجية، ورحَّبت الدول العربية بالاتحاد واعتبروه إنجازاً عظيماً، لكنَّ الحماس الذي بدأ به الاتحاد لم يدم طويلاً، فقد بدأت بعض الخلافات تطفو على السطح، وتباطأت خطى الوحدة، وفوق الخلافات الداخلية، كانت مطالبة إيران بالبحرين تحديداً من أصعب العقبات أمام الاتحاد، لأنَّها حالت دون انضمام البحرين للاتحاد.

فشلت محاولة إقامة اتحاد من تسع إمارات بسبب هذه العقبة وغيرها من المعوّقات الأخرى، واستمرَّت المحاولات والوساطات بين حكَّام الإمارات إلى عام 1971، وفي 23 نوفمبر التقى حكَّام دبي وأبوظبي ومعهم الشيخ محمد بن راشد وعديّ بيطار من دبي، ومحمد حبروش من أبوظبي، إضافةً إلى أحمد السويدي ومانع العتيبة ومهدي التاجر، وفي هذا الاجتماع تمَّ التخطيط للاتحاد وتحديد تاريخه، وتمَّ إرسال مندوبين إلى الدول العربية لإعلامهم بنبأ الاتحاد، وفي أول ديسمبر اتفق حكَّام الإمارات السبع على إنهاء المعاهدة الخاصَّة بكل منهم مع السلطات البريطانية، وانتُخِب الشيخ زايد رئيساً للاتحاد لمدة خمسة أعوام، وعُين الشيخ راشد نائباً للرئيس، والشيخ مكتوم بن راشد ولي عهد دبي رئيساً

للـوزراء، وتكوَّنـت الإمـارات العربيـة مـن سـبع إمـارات: أبوظبـي، ودبـي، والشـارقة، وعجمـان، وأم القيويـن، ورأس الخيمـة، والفجيـرة.

وعندمـا نقلـت صحـف القاهـرة فـي 2 ديسـمبر 1971 خبـر تأسـيس دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة، اعترفـت الحكومـة المصريـة بهـا فـوراً، وفـي يـوم 16 ديسـمبر اعترفـت بالدولـة الجديـدة معظـم الـدول المهمَّـة فـي العالـم.

إنـجاز رسالة زايد

إن محاولـة الإحاطـة بالشـخصية البـارزة والإنجـازات المتعـددة الجوانـب لرجـل بعظمـة الشـيخ زايـد تـكاد تكـون مهمـة مسـتحيلة، ففـي وقـت لـم يكـن لـدى الإمـارات مـا تقدمـه إلا النـزر اليسـير، لـم يغـب جانـب مـن جوانـب النشـاط فـي المجـالات الاجتماعيـة أو الاقتصاديـة، أو الثقافيـة أو السياسـية عـن جـدول أعمالـه الإصلاحـي والتنمـوي. وجـاء إلـى السـلطة متعهـداً بتقديـم أفضـل مـا يمكـن تقديمـه لبلـده وشـعبه.

وباعتبـاره أحـد أبـرز القـادة قـوة وشـعبية ونشـاطاً وتبنيـاً للنهـج الإصلاحـي، ظـل متصـدراً اسـتطلاعات الـرأي بيـن شـعبه دون أي منـازع. وفـي الثانـي مـن ديسـمبر 1971 فـاز زايـد بالرئاسـة بسـهولة، ليـس علـى إمـارة أبوظبـي بـل علـى اتحـاد الإمـارات العربيـة المتحـدة.

لقـد وضعـت ولادة الإمـارات العربيـة المتحـدة الأسـاس لأكثـر نمـاذج التكامـل نجاحـاً فـي التاريـخ العربـي الحديـث. وكان ذلـك ثمـرة لرؤيـة الشـيخ زايـد الفـذة ورسـالته فـي الحيـاة التـي جسـدها فـي بعـض عباراتـه الشـهيرة: «الاتحـاد أمنيتـي، وأسـمى أهدافـي لشـعب الإمـارات العربيـة».

سيبقى الشيخ زايد ـ رمز الشجاعة والتضحية في سبيل القضايا النبيلة ـ ماثلاً في ذاكرة وقلوب الأجيال القادمة في الإمارات أباً للأمة، وفي الوطن العربي رمزاً مثالياً، وفي العالم عموماً حاكماً حبي مناقب نادرة في القيادة والحكم والقيم الإنسانية كرسها لخدمة البشرية.

رجلٌ سبق عصره

لم يكن الشيخ زايد رجل عصره فحسب، بل كان سابقاً لعصره، وقد حظيَ بتقدير استثنائي وتفويض شعبي بقيادة الإمارات العربية المتحدة لمدة 33 عاماً حافلة بالإنجازات حتى وفاته في عام 2004، وما زالت الإمارات العربية المتحدة بقيادة خلفائه تواصل مسيرتها بوحي روح العصر الجديد من نجاح إلى نجاح.

المؤلفة :

جوينتي مايترا :

كاتبة مقيمة في دولة الإمارات العربية المتحدة منذ عام 1982، مؤرخة وباحثة، قضت عقوداً في توثيق وأرشفة تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة.

وابتداءً من عام 1986، عملت باحثة حرة لمدة 10 سنوات، قدمت خلالها ست ورقات بحث تركز على موضوعات مختلفة في تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة، وقد تمَّ عرض بحثها في المنتديات المحلية والدولية، وكذلك في مدارس وجامعات أبوظبي.

في عام 1996، انضمت الدكتورة مايترا إلى الأرشيف الوطني، الذي كان في السابق المركز الوطني للتوثيق والأبحاث، حيث تستمر في المساهمة حتى اليوم.

ومن أبرز مساهماتها في توثيق تاريخ الإمارات العربية المتحدة دورها الحيوي في المشاركة في تأليف كتاب «قصر الحصن: تاريخ حكّام أبوظبي، 1793-1966» مع السيدة عفراء الحجي، كما ألّفت كتاب «زايد: من التحدي إلى الاتحاد».

كتاب في دقائق

ملخصات لكتب عالمية تصدر عن
مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

زايد

وتعليم المرأة في أبوظبي

تأليف:

مريم سلطان المزروعي

إيماناً منه بأهمية التعليم، سعى المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان منذ توليه حُكم مدينة العين، إلى الاهتمام بالتعليم إلى أقصى درجة. لقد استشرف المستقبل في سنيِّ قيادته المبكرة وأدرك أهمية إعلاء مكانة المرأة في المجتمع ولا يحصر دورَها في المنزل، وتحديداً في رعاية الأبناء دون تعليمهم، والاكتفاء بتلبية مطالبهم، وذلك بحكم العادات التي كانت تحْرِم المرأة من التعليم، ولذا فإنَّ ما حقَّقه الشيخ زايد للنهوض بتعليم المرأة الإماراتية والجهود التي بذلها يعدُّ معجزةً حقيقية، حيث استطاع ترسيخ ثقافة المساواة والتمكين في مرحلة ريادية مبكّرة من قيادته الرشيدة، دون مساس بالأعراف الاجتماعية السائدة أو تجاوز للتقاليد.

دور المرأة الاجتماعي قبل الاتحاد

حظيت المرأة باحترام خاص في مجتمع ما قبل الاتحاد، وكانت تتمتَّع بنفوذ لابأس به، كأن تكون هي من يضع القوانين للأسرة في شؤون الزواج والعلاقات الاجتماعية والمصاهرة الأسرية، كان دور النساء أساسياً للمحافظة على التماسك والتلاحم المجتمعي، فكنَّ يعشن في مجتمع صغير وشديد الترابط، حيث تتصل النساء بعضهن ببعض بصلات النسب والقربى ويساعد بعضهن بعضاً كلَّما استدعت الحاجة، الأمر الذي كان يحدث كثيراً حيث كان يعهد إليهنَّ رعاية الأسرة عندما يذهب الرجال

إلى الغوص، ولم ترجع معاناة المرأة إلى غياب الرجل في مواسم الغوص فحسب، وإنَّما إلى طبيعة علاقات الإنتاج السائدة في صناعة الغوص والمعاناة من نتائجه السلبية؛ مثل فقدان الزوج وتشتُّت الأولاد.

تعليم المرأة قبل الاتحاد

كان التعليم في الإمارات في مطلع القرن الماضي يُسمَّى «الكتاتيب»، أو «تعليم المطاوعة»، وجرت العادة أن يطلق هذا الاسم على كل من لديه معرفة بالقرآن أو أحكام الدين ويجيد القراءة والكتابة ويقوم بتعليم الأطفال، وإذ عُرِف التعليم في معظم البلدان العربية باسم «الكتاتيب»، فقد عُرِفَ التعليم في الإمارات باسم «المطاوعة».

عندما كان الولد (أو البنت) ينتهي من حفظ القرآن الكريم، كان يُقام له حفل ختم القرآن الذي يسمَّى «التومينة» أو «التحميدة»، فتلبس حافظة القرآن ثوباً جديداً وتتزيَّن بحليّ الذهب العربية التي تنسدل من الشعر المصفَّف بعناية، وبعد بلوغ سن السابعة كانت الفتيات يُمنعن من اللعب خارج المنزل، وعندما يصلن إلى سن البلوغ يغطّين شعورهنَّ بـ«الشيلة».

تأثير الشيخة سلامة بنت بطّي في فكر الشيخ زايد

هناك شخصيات مهمَّة أثَّرت في حياة الشيخ زايد، ولعبت دوراً بارزاً في تشكيل شخصيته، وتركت بصمتها العميقة على تفكيره وأنماط سلوكه، ومن بين هذه الشخصيات والدته التي تنتمي إلى قبيلة القبيسات، وهذه القبيلة تعدُّ فرعاً من قبائل بني ياس، وقد كانت شخصية نسائية قوية، وسيّدة تقية وصالحة، وقد كانت حياتها مملوءة بالكفاح والصبر،

فقد ولدت في بيت يتصف أهله بالتديُّن والتقوى، ونشأت على حب الإحسان وحب الخير للناس، وتمسَّكت بالعادات والتقاليد العربية الأصيلة، واكتسبت الحكمة من والديها وجدَّتها.

كما اشتهرت الشيخة سلامة باهتمامها بالنساء وحل مشاكلهنَّ وقضاياهن، وقد انتقلت إلى جوار ربها رحمها الله في سنة 1970، وقد كانت من الشخصيات المؤثّرة بشدَّة في أبنائها وبالأخص الشيخ زايد، فسار على نهجها وتفانى في بذل جهوده التي استقاها من مدرسة أمه، التي كان لها دورٌ كبيرٌ فيما بعد في دعمه للمرأة في الإمارات، لذلك دخل في صراع قوي حتى تجد المرأة مكانة في ظل التنمية الإماراتية محلياً وعالمياً.

الشيخ زايد والنهوض بتعليم المرأة الإماراتية

عندما كان الشيخ زايد ممثلاً لحاكم أبوظبي في العين، واجه صعوبات وتحدّيات أظهرت شخصيته كمسؤول يفكّر في مصلحة شعبه، لذلك فقد تميَّز الشيخ زايد بالسرعة في تنفيذ المشاريع، فبدأ بالعديد من الإصلاحات، وكان من ضمنها التعليم وبناء المدارس. كان يؤمن بأنَّه لا يوجد شيء أهم من التعليم لبناء الإنسان، وظل يُردّد دائماً أنَّ العلم بَصَر، وحرص على نشر التعليم قبل الاتحاد وبعده، لأنَّ التعليم يَبني جيلاً قادراً على بناء صناعة وطنية قوية تقوم على أكتاف أبناء الوطن، وهو أكبر وأشمل استثمار، وكان ـ رحمه الله ـ يَحلم أن يرى أطفالَ البلاد وهم يحملون حقائبَهم في طريقهم إلى المدارس حتى يصبحوا بعد سنوات رجالاً مثقَّفين، يضعون ثقافتهم في خدمة المجتمع.

انطلاقاً من هذا التوجُّه، خاطب الشيخ زايد بعضَ الدول العربية الشقيقة طالباً مساعدتها لهذا الغرض، وفي عام 1959 أقام مدرسة «النهيانية» بالقليل من ماله الخاص في مدينة العين، وكان يزور أبناءَه الطلبة في البيت والمدرسة، يرعاهم ويشجّعهم ويتابع تقدُّمهم، كما اهتمَّ بنشر التعليم في المناطق البدوية التي لا تعيرُ التعليم أي أهمية، واستنفدَ الكثير من الجهد ليقنع السكَّان بأهمية التعليم.

ويروي الجيلُ الأوَّل من المعلّمين الذين عملوا في العين في تلك الفترة كيف كان الشيخُ زايد يرعاهم ويتابعهم، وعلى الرغم من قلَّة الموارد وغيرها من المعوّقات، فإنَّ هذه التحدّيات لم تثنِهِ عن مواصلة فتح المزيد من المدارس.

ثمَّ خَطا التعليم خطواتٍ واسعةً بعد تسلُّم الشيخ زايد مقاليد الحكم في أبوظبي في عام 1966، وكانت المهمة صعبة، إذ كان عليه أن يبني مجتمعاً جديداً. لقد شرع على الفور في بناء نهضة حضارية شاملة وكان من ضمنها التعليم. يقول الشيخ زايد في تعليم المرأة: «**من دواعي سروري وفخري أن أرى المرأة تسعى إلى طلب العلم، لأنَّ العلم كالسراج في الظلام يضيء لهنَّ الطريق، وهو نورٌ يضيء المستقبل وحياةَ الإنسان**».

قرَّر الشيخ زايد أن يخوض معركة تشجيع تعليم المرأة لإيمانه بأنَّ الدور الأكبر في تربية الأبناء يقع على عاتق المرأة، وأنَّ المرأة المتعلّمة خير من المرأة الجاهلة، ولذلك قام بزيارة الأسر لإقناع أولياء الأمور بأهمية إلحاق بناتهم بالمدارس، وصرف مكافآت شهرية لمن تذهب إلى المدرسة، ووجَّه بتنفيذ حملات إعلامية لشرح أهمية إلحاق الفتيات بالمدارس، ومَنَح مرتباتٍ مغريةً لكل فتاة متعلّمة تلتحق بدواوين

الحكومة، وأقام جمعية المرأة الظبيانية لتشجيع المرأة على اقتحام التعليم والحياة العامة.

كانت توجيهاتُ الشيخ زايد في هذا الصدد واضحةً بالتوجُّه نحو البنية التحتية التي شملت جميع الخدمات، حيث تمَّ تحديد الميزانية الاتحادية عام 1972، التي تعدُّ أول ميزانية اتحادية تركّز على مشروعات البنية التحتية، وفي تلك الميزانية حظيت مشروعات التعليم بنسبة تسعين في المائة من الميزانية، وأصبحت مسؤولية التعليم الجامعي لكل أبناء الإمارات بلا استثناء ومن ضمنهم المرأة تقع على عاتق ونفقة وزارة التربية والتعليم في إمارة أبوظبي.

في عام 1973، وأثناء إلقاء الشيخ زايد بن سلطان، نظرةً على الرسومات الهندسية للقرى النموذجية القريبة من طريق أبوظبي ـ العين، قال: «كل شيء جميل على الورق ولكنَّه لا يناسب البدوي الذي سيسكن هنا، ولا ينبغي أن توضع المدارس متجاورة كما في المخطط، بل يجب أن توضع مدرسة البنات في طرف القرية والبنين في الطرف الآخر، لأنَّ هذا الفصل يجعل ابن البادية الذي لا تلائمه فكرة الاختلاط أكثر قابلية للاقتناع بإرسال ابنته إلى المدرسة، ونحن لا نريد ترك بناتنا بلا تعليم». المرأة ليست نصف المجتمع من الناحية العددية فقط، بل هي كذلك من حيث مشاركتها في مسؤولية تهيئة الأجيال الصاعدة وتربيتها تربية سليمة متكاملة».

ومن أقواله رحمه الله تعالى: «الفتيات كنَّ دائماً عزيزات علينا، والإنسان يحرص على كل عزيز لديه»، ومن هنا بدأ الشيخ زايد ببذل المزيد من الجهود ليضمن بروز المرأة، ويؤكد أنَّ لها الحق في التعليم والدراسة مثلها مثل الرجل، وعمل على إضافة العديد من الإصلاحات في كل من الدستور، وبناء المدارس، والجمعيات، والجامعات.

التشريعات الدستورية

دستور دولة الإمارات العربية المتحدة هو المرجعية الأساسية في كثير من الجوانب التشريعية والداعمة للمشاركة الإيجابية، ولذلك حرصت الدولة على تهيئة جميع القوانين التي تضمن حقوقها وتوفّر احتياجاتها. جاء دستور الإمارات مبيناً الحقوق والواجبات لأبناء المجتمع، ولأنَّ المرأة إحدى ركائز المجتمع الرئيسة المشاركة في التنمية، كان لها نصيب في التشريعات والقوانين الوطنية والدولية، وقد جاءت تلك الحزمة من التشريعات كداعم رئيس للمرأة في كل شؤونها، لا سيما مشاركتها واندماجها في التنمية.

أكَّد الدستور مبدأ المساواة الاجتماعية، والحقَّ الكامل في جميع الوظائف للمرأة مثلها مثل الرجل، وغير ذلك من حقوق التعليم والرعاية:

- نصَّت المادة (14) من الدستور على أنّ: «المساواة والعدالة الاجتماعية وتوفير الأمن والطمأنينة وتكافؤ الفرص لجميع المواطنين، من دعامات المجتمع، والتعاضد والتراحم صلةٌ وُثقى بينهم».
- نصَّت المادة (17) على: «أنَّ التعليم عامل أساسي لتقدُّم المجتمع، وهو إلزامي في مرحلته الابتدائية، ومجاني في كل المراحل داخل الاتحاد، ويضع القانون الخطط اللازمة لنشر التعليم وتعميمه بدرجاته المختلفة، والقضاء على الأمّية».
- تنصُّ المادة (32) من قانون العمل على أنْ: «تمنح المرأة الأجر المماثل لأجر الرجل إذا كانت تقوم بنفس العمل».
- كما نصَّت المادة (34) على أنَّ: «كل مواطن حر في اختيار عمله أو مهنته في حدود القانون».

- نصَّت المادة (35) على أنَّ: «باب الوظائف العامة مفتوح لجميع المواطنين، على أساس المساواة بينهم في الظروف ووفقاً لأحكام القانون، والوظائف العامة خدمة وطنية تُناطُ بالقائمين بها، ويُستهدف الموظَّف العام في أداء واجبات وظيفته المصلحة العامة وحدها».

وسعياً من المُشرّع في الدولة إلى مراعاة الوضع الخاص بالمرأة، فقد قرَّر مجموعةً من القيود المتعلّقة بنوع عمل المرأة وحظر تشغيلها بالأعمال الخطرة والشاقة، أو الضارة صحياً وأخلاقياً، أو العمل ليلاً إلا في بعض الحالات، سواء في المراكز الإدارية والفنية ذات المسؤولية، أو العمل في الخدمات الصحية.

ومن أجل استكمال الإطار التشريعي الخاص بحقوق المرأة بشكل عام ـ ومنها الحق في التعليم ـ انضمَّت دولةُ الإمارات العربية المتحدة إلى هيئة الأمم المتحدة في عام 1971، فالتزمت بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام 1948، وانضمَّت إلى الكثير من الاتفاقيات الدولية التي توصي بحقوق الإنسان وحقوق المرأة، ومن أهمّها اتفاقية منظمة العمل الدولية التي اعتمدت فيها الدولة على 16 بنداً أساسياً تحتوي في جوهرها على العناصر التي تكفل تشجيع وتسهيل عمل المرأة.

المدارس الحكومية

بدأ التعليم بثلاث مدارس عام 1960، ومع مجيء الشيخ زايد إلى الحكم عام 1966، أحدث قفزةً تعليمية في عهده ووصل في عام ـ1971 1970 إلى خمسٍ وعشرين مدرسة، نتيجة زيادة الطلبة بسبب ما كفلته لهم الإمارة من حق التعليم فوق أراضيها.

أمَّا في الفترة التي أعقبت عام 1971، فقد شهد قطاع التعليم العام قفزاتٍ متواليةً في إنشاء المدارس وتدريب المعلّمين والمعلّمات، وبذلت إمارة أبوظبي جهوداً كبيرة لتوفير البنية التحتية لقطاع التعليم، حيث تضاعف عدد المدارس والطلاب والمعلمين في الإمارة خلال تلك الفترة مقارنة بالعقد الذي سبقه، واستقطب هذا القطاع أكثر من 5000 معلم، وتجاوز عدد الطلاب 100.000 لأول مرة في عام 1986.

شجَّع الشيخ زايد الأهالي على إلحاق أبنائهم ـ وبالأخص بناتهم ـ بالمدارس من خلال جملة من الحوافز المادية وأشكال الرعاية الاجتماعية والنفسية والصحية، وشملت هذه الحوافز ما يلي:

- دفع رواتب شهرية للطلبة في بعض المراحل التعليمية.
- تقديم وجبة غذائية كاملة في الساعة العاشرة من كل يوم دراسي لجميع طلاب وطالبات التعليم ما قبل الجامعي.
- تقديم الكتب والقرطاسية اللازمة مجاناً.
- تقديم الزي المدرسي والملابس الرياضية مجاناً.
- تقديم وسائل النقل ما بين البيت والمدرسة مجاناً.
- تقديم الخدمات الصحية من تطبيب وعلاج مجاناً.
- تقديم الرعاية الاجتماعية القائمة على الأسس العلمية الحديثة المتعلقة بمعالجة الطفولة والمراهقة بطرق تضمن للطلبة نمواً سليماً.

لذلك لم يدَّخر الشيخ زايد جهداً أو وسيلةً لتعليم الفتيات، وانتشرت

مدارسُ البنات في كل أركان الدولة، وزادت أعداد المدارس الحكومية في جميع مراحل التعليم العام.

البعثات التعليمية الخارجية

أولى الشيخ زايد اهتماماً كبيراً بالبعثات الخارجية، لما تقوم به من دور كبير في مواكبة الحضارة المعاصرة، لذلك دعا في افتتاح الفصل التشريعي الثالث للمجلس الوطني الاتحادي في مارس عام 1977 إلى: «توجيه المزيد من الاهتمام إلى رعاية المبعوثين من أبنائنا في الخارج، وإعداد الكوادر الوطنية في التخصُّصات المختلفة لتسهم بدورها الأصيل في بناء الوطن».

وبأمر من الشيخ زايد ـ وبهدف التشجيع على البعثات الخارجية والأهالي ـ تمَّت زيادة مخصَّصات طلبة البعثات الموفدين إلى الخارج لمساعدتهم على نفقات المعيشة المتزايدة، فزادت أعداد المبعوثين عاماً تلو الآخر.

كلنا نعرف أنَّ التعليم يمثّل القوّة المحرّكة لتطوُّر وتفوُّق المرأة الإماراتية، حيث تفوَّقت محلياً ودولياً في إطار برنامج «ابتعاث» الذي تتبنَّاه الحكومة الإماراتية منذ قيام الاتحاد، ففي عام 2012 مثلاً، بلغت نسبة الإماراتيات 77٪ من طلبة الجامعة، وبذلك سجَّلت الإمارات أعلى نسبة للنساء في التعليم العالي في العالم بأسره، وتعدُّ دولةُ الإمارات من أكثر الدول النامية تعليماً للمرأة.

وعلى الرغم من الدور الذي قام به الشيخ زايد في نشر الوعي بأنَّ للتعليم دوراً محورياً في تنمية الوعي الثقافي والاجتماعي لدى أفراد

المجتمع، فإنَّه لا يزال هناك من يرفض سفر الفتاة إلى الخارج للتعليم، وكانت تلك معضلة لا بد من إيجاد حلّ لها، ومن هنا عمل الشيخ زايد على بناء الجامعات في الدولة، وكانت أولى الخطوات بناء جامعة الإمارات العربية المتحدة توافقاً مع تلك الفكرة السائدة، لأنَّها شجَّعت الطالبات على استكمال دراستهنَّ في وطنهنَّ ووسط أهلهن.

جامعة الإمارات

كانت البداية الفعلية لاهتمام الشيخ زايد بمؤسَّسات التعليم العالي هي إنشاء جامعة الإمارات العربية المتحدة عام 1976، حدَّد الشيخ زايد بنفسه موقع الجامعة حين رسم موقعها بعصاه على الرمال، وحدَّد شبكة الطرق التي ستربط بين أطراف المدينة لتسهيل حركة المواصلات، وتبعت تلك الخطوة في تطوير التعليم في الإمارات خطوة أهم وأشمل للاهتمام بالتعليم العالي بشكل عام، وذلك بصدور توجيهات من الشيخ زايد بتأسيس وزارة التعليم العالي سنة 1990.

جامعة الإمارات العربية المتحدة مؤسَّسة تعليمية فاصلة بين الجنسين، ولكي يشعر الأهالي بالاطمئنان، أمر الشيخ زايد ببناء مجمعات سكنية عليها حراسة مشدَّدة للطالبات، وذلك من دون المساس بالعادات والتقاليد المجتمعية، فكانت تلك السياسة ضرورية لإقناع الأهالي بأنَّه لا بد من أن تبدأ المرأة بالمشاركة في بناء مجتمعها من خلال التعليم العالي، وكان لهذه الخطوة أثر فعَّال في تشجيع المرأة على تحقيق أهداف الحكومة، وأفصحت جهود الشيخ زايد عن حقيقة عنايته بتعليم المرأة كما علَّم الرجل.

خلال العشرين عاماً الأولى من إنشاء جامعة الإمارات، كانت هناك فجوة عددية واضحة في التعليم الجامعي بين الذكور والإناث، ويُعزى ذلك إلى عدة عوامل، منها:

- اجتماعي، حيث لم يكن المجتمع يشجّع التعليم الجامعي للفتاة بحجَّة أنَّ الفتاة يجب أن تتزوَّج وتقوم بدور الأمومة عند عمر محدَّد.
- العامل الآخر هو موقع الجامعة، حيث كانت تبعد عن معظم مدن الدولة، ممَّا قلَّل من فرص معظم الفتيات في الالتحاق بها لظروف تتعلَّق بالعادات وظروف كل أسرة على حدة.

ولكن بفضل فكر قائد مسيرة التعليم المستنير، أوصى الشيخ زايد بتطبيق نظام الانتساب، ممَّا فتح فرصاً كبيرة للنساء الراغبات في تحقيق طموحهنَّ للوصول إلى أعلى درجات التعليم في ذلك الوقت، ولا يمكن هنا أن ننسى دور الشيخة فاطمة بنت مبارك، التي عملت بتوجيهات من الشيخ زايد على حثّ الفتيات للالتحاق بجامعة الإمارات عند تأسيسها عام 1976، وحرصت على رعاية الاحتفالات بتخريج الدفعات المتتالية من خريّجات الجامعة.

كليات التقنية العليا

أنشئت كلياتُ التقنية العليا في عام 1988، وتوزَّعت في كلّ من أبوظبي ودبي والعين والشارقة والفجيرة، وتؤدّي الكليات دوراً مهماً في تقدُّم التعليم الفني والتقني والتخصُّصي لمواطني ومواطنات الدولة، وتهيّئهم لتولّي المناصب العليا في القطاعين الخاص والحكومي.

تعدُّ كليات التقنية العليا من الوسائل المستحدثة في الدولة للتأهيل العلمي لبنات الإمارات ليسهمن جنباً إلى جنب مع رجال الإمارات في تحمُّل المسؤولية نحو الوطن ورفع نسبة المشاركة في القوى العاملة المواطنة في قطاعات الأعمال، حيث تتبنَّى الكليات منهجية علمية تقوم على ركيزتين أساسيتين هما:

- تقديم برامج دراسية عملية وتطبيقية تسهم في تخريج كادر نسائي متخصّص يسهم في رفع نسبة مشاركة المرأة في سوق العمل.
- مراعاة مختلف العوامل النفسية والاجتماعية التي تتحكَّم بمفهوم عمل المرأة من منظور الأسرة والمجتمع.

جامعة زايد

أنشئت جامعة زايد بتوجيهات وتشجيع من الشيخ زايد في 9 مارس 1998، وكانت مخصَّصة للطالبات فقط، وفي إطار الاهتمام المتواصل من قِبَل قيادة الدولة بشؤون التعليم، وعرفاناً بالدور البارز الذي قام به الشيخ زايد في تعليم المرأة، قال صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد في حديث له مع مجموعة من طالبات جامعة زايد في 4 إبريل 2005: «**الإنجازات الهائلة التي تحقَّقت في مجال التعليم هي ثمار للرؤية الحكيمة والنظرة الثاقبة لفقيد الوطن الغالي الوالد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان – رحمه الله– قائد مسيرة النهضة الحضارية الشاملة، وبخاصةٍ في قطاع التعليم الذي أولاه كل الاهتمام انطلاقاً من إيمانه الراسخ بأنَّ التعليم هو أساس كل تقدُّم وإبداع**».

وقد احتفلت جامعة زايد في عام 2003 بتخريج دفعتها الأولى، ومن

الجديـر بالذكـر أنَّ جمعيـة أبحـاث الكليـات والمكتبـات الجامعيـة التابعـة للجمعيـة الأمريكيـة الدوليـة للمكتبـات قـد اختـارت فـي مـارس 2003، برنامـج مكتبـة جامعـة زايـد الإلكترونيـة مـن بيـن أفضـل عشـرة برامـج إلكترونيـة تطبّقها الجامعـات علـى مسـتوى العالـم.

وقـد بلـغ عـدد الطلبـة الإماراتييـن فـي مؤسَّسـات التعليـم العالـي الحكوميـة بالدولـة إضافـة إلـى البعثـات الخارجيـة فـي العـام الجامعـي 2009/ 2010 ثلاثة عشـر ألفـاً و428 طالبـاً وطالبـة موزَّعيـن علـى جامعـة الإمـارات وجامعـة زايـد وكليـات التقنيـة العليـا والبعثـات الخارجيـة.

الاتحاد النسائي العام

كانـت البدايـة بتأسـيس جمعيـة نهضـة المـرأة الظبيانيـة فـي 8 فبرايـر 1973، وقـد أنشـأت الجمعيـة أربعـة أفـروع فـي أبوظبـي، وكان الغـرض مـن إنشـاء الاتحـاد النسـائي العـام هـو تمثيـل الحركـة النسـائية فـي البـلاد فـي الخـارج، وأيضـاً فـي الداخـل، ويتـوزَّع نشـاط الجمعيـات النسـائية فـي أنحـاء الإمـارات جميعـاً، وقـد أسَّـس الاتحـاد فـي 27 أغسـطس 1975، وهـو مـن بنـات أفـكار الشـيخة فاطمـة بنـت مبـارك، حـرم المغفـور لـه الشـيخ زايد بـن سـلطان، وذلك كـي تلتقـي سـيدات إمـارة أبوظبـي وتشـجّعهن وتدفعهـن لإعـداد أنفسـهنَّ بمـا يسـهم فـي إنجـاح رسـالتهن تجـاه الوطـن والمجتمـع والأسـرة.

جـاء تأسـيس الاتحـاد النسـائي ترجمـةً لفكـر الشـيخ زايـد الـذي كان يهـدف إلـى تشـجيع المـرأة علـى النهـوض والقيـام بأدوارهـا حتـى تتمكَّـن مـن الاضطـلاع بمسـؤوليات حمـل رايـة الإمـارات عاليـاً فـي المؤتمـرات والمحافـل الدوليـة مـن خـلال الوفـود المشـاركة فـي الفعاليـات العالميـة،

ولتعبّر عن حضارة دولة الإمارات العريقة وعن المكانة التي تبوَّأتها المرأة في ظل نظام حكم إسلامي ديمقراطي.

ونشير هنا إلى زيارة قام بها الشيخ زايد في 20 مايو 1980 إلى فرع الجمعية بالبطين، حيث قال للدارسات والعضوات: «**الجهد الذي تقوم به المرأة في الإمارات، جهد كبير ومشرّف ويستحق كل التقدير انطلاقاً من أهمية مشاركة المرأة في نهضة المجتمع، وبخاصةٍ أنَّ الإسلام شجَّع المرأة على العمل والمشاركة في البناء، فالإسلام كرَّم المرأة واحترمها وأعطاها مكانتها اللائقة، وإنَّني أشجّع عمل المرأة في المواقع التي تتناسب مع طبيعتها، ولا بد أن تمثّل المرأة بلادها في المؤتمرات النسائية بالخارج، لتعبّر عن نهضة البلاد، وتكون صورة مشرقة لنا ولمجتمعنا الذي أعطاها هذه الحقوق كافة**».

المرأة وحدها هي القادرة على تنشئة جيل يملك إرادة التغيير والتطوير والتعمير والانطلاق نحو المستقبل، ويشيد الشيخ زايد بدور المرأة خلال الفترات المختلفة التي مرَّ بها مجتمعنا، وشهدت ظروفاً وأوضاعاً صعبة، حيث يقول: «**لولا الرعيل الأول من الرائدات اللواتي برزن في ميادين العلم والعمل، ما تمكَّنت بنات الإمارات من الوصول إلى ما هنَّ عليه الآن، الرائدات تعبن وكافحن وفعلن الكثير، بل إنَّ أي إنجاز تحقّقه بنات هذا الجيل الجديد يعود بفضله إلى من سبقهنَّ، وأي فشل يتحمَّلن هنَّ وحدهنَّ مسؤوليَّته، ولكنّي أرى أنّ بنت الإمارات في الماضي والحاضر ناضجة وهي مصدر فخري واعتزازي.. بيَّض الله وجوههنَّ بناتٍ وأمهاتٍ وزوجاتٍ صالحات**».

ثمار جهود الشيخ زايد في تعليم المرأة الإماراتية

يعود الفضل في تميُّز المرأة الإماراتية وإنجازاتها إلى السياسات الواعية التي انتهجها قادةُ الدولة وبدأها الشيخ زايد ومهَّد لها، وهو تميُّز أصبح القاعدة الثابتة وليس الاستثناء، وعلى الرغم من تحقيق المرأة الإماراتية نجاحاً كبيراً في العديد من المجالات، فإنَّ الحكومة ما زالت تعدُّ قضايا المرأة جزءاً من مشروع ضخم ومتواصل ومستدام، فالحكومة مصمّمة على مواصلة دعم المرأة لتحقّق مزيداً من الرفعة، الأمر الذي أتاح أمامها كل فرص التعليم والعمل.

وقد حرص الشيخ زايد على أن يؤكّد تشجيعه على دخول المرأة كل ميادين العمل التي تتناسب مع طبيعتها وتحفظ كرامتها كأم وصانعة أجيال، وهكذا أثبتت المرأة جدارتها وقدرتها على الإنجاز في كل مجال. يقول الشيخ زايد: «**ما حقَّقته المرأة في دولة الإمارات خلال فترة وجيزة يجعلني مطمئناً بأنَّ ما غرسناه بالأمس بدأ يؤتي ثماره، ونحمد الله أنَّ دور المرأة في المجتمع بدأ يبرز ويتحقَّق لما فيه خير أجيالنا الحالية والقادمة**».

وهذه بعض نتائج تنامي دور المرأة وارتقاء مكانتها في المجال التعليمي والاقتصادي والثقافي:

المجال التعليمي

حثَّ الشيخ زايد بناته الطالبات على التمسُّك بالدين والتزوُّد بالعلم وضرورة مواصلة التحصيل الدراسي لتحقيق آمال كل طالبة، وقال إنَّ دور المرأة لا يقلُّ عن دور الرجل لأنَّ الطالبات هن أمَّهات المستقبل. أولى الشيخ زايد المرأة الإماراتية اهتماماً خاصاً، وكان من أهم أهدافه زيادة

توعية المرأة وإدراكها في نفس الوقت، وهذا ما قدَّمته الجمعيات النسائية كافة، ومن أبرزها الاتحاد النسائي الذي أدَّت جهوده إلى إثراء ثقافة النساء وزيادة وعيهنَّ فيما يخصُّ أمور التعليم والصحة والتربية لينعكس ذلك على بنيان الأسرة، وقد منح دستور الدولة المرأة كل الحقوق وشجَّعها على الانطلاق في مجالات العلم والعمل لتشارك في عملية التنمية. وقد تبنَّى الشيخ زايد مبدأ أن يكون التعليم مثل الطعام في متناول الجميع، من خلال إرساء مبدأ إلزامية التعليم ومجَّانيته، وسعى إلى تنفيذ استراتيجيات متعدّدة لتأسيس نظام تعليمي متطوّر يواكب العصر وتقنياته المعرفية ويرتقي بالدارسين إلى المستويات التعليمية المختلفة، كما حرص على تعليم المرأة منذ المرحلة الابتدائية حتى الجامعية.

وقد أثمر ذلك بلوغ مكانة عالية سامية تبوَّأتها المرأة اليوم، فأصبحت المرأة وزيرة، وعضواً بالمجلس الوطني الاتحادي، واعتلت منصَّة القضاء، كما حصلت كثيرات من بنات الإمارات اليوم على درجات علمية عالية، وأصبح منهنَّ اليوم أستاذات في جامعات الإمارات، بل ووزيرات يتولَّين مسؤوليات استراتيجية وتنفيذية مهمَّة في الدولة.

المجال الاقتصادي

يقول الشيخ زايد:

- «الرجل أخ للمرأة والمرأة أخت للرجل، وليس هناك فرق بينهما إلا في العمل، العمل الطيب والعمل السيّئ، هنا يكمن الفرق».
- «عمل المرأة في بيتها أوَّل مظاهر عملها وعليها أن تتقنه وتؤدّيه بإخلاص ولا تترفَّع عليه، ثمَّ إنَّه يعدُّ توفيراً للدخل وعوناً للرجل،

ولتَعْلم كل امرأة أنَّ الرجل يزدادُ محبة ومعزَّة لها، فهي تساعده على الحياة وليست عبئاً عليه، ومجتمعنا بحاجة إلى عمل المرأة وفي نطاق الأسرة الصغيرة، وإذا قام كل فرد بواجبه فلن تكون هناك أي مشكلة».

- «نحن نتابع تعليم الفتيات ونوجّههن إلى التعليم وليس الحصول على التعليم سهلاً، والحقيقة أنَّ لهنَّ أهميتهنَّ في الأشياء التي ستوكل إليهنَّ مع إخوانهنَّ في الوطن، ويليق بفتيات دولة الإمارات ما يليق بشقيقاتهنَّ في أرجاء العالم العربي والإسلامي، ونحن في دولة الإمارات العربية المتحدة لسنا في غنى عن خدمة الفتاة وما تستطيع أن تقدّمه وتؤدّيه في حقّ الوطن وحقّ الدولة».

- «لماذا يظنُّ البعض أنَّ المرأة غير قادرة؟ إنَّ قدرة المرأة في الإمارات بيّنة وواضحة، ونجاحها لا يحتاج إلى دليل سواء في عين المواطن هنا أو في الخارج، شاهد عليها أعداد الخريجات من بناتنا التي تفوق أعداد الخريجين، أليس هذا بحد ذاته إنجازاً، وأنا أتابع مسيرة المرأة في كل المجتمع، وككل مجتمع هناك سلبيات قليلة وهي عند البنات نادرة جداً مقارنةً بالشباب».

- «المرأة في البلاد يجب أن يكون لها دور كامل فعّال في جميع المجالات في المجتمع إلا ما نهى عنه الإسلام، ديننا الحنيف، وغير ذلك من واجب المرأة أن تقوم به، لأنَّ المرأة هي أخت الرجل، والرجل ابن المرأة، لماذا لا يعمل الرجل والمرأة في الحياة؟ فهذا شيء واجب إذا عمل الرجل في ميادين الحياة ولم تعمل المرأة أصبحت عبئاً عليه وعلى المجتمع، ولا بد أن تكون المرأة عوناً للرجل، ويكون الرجل عوناً للمرأة».

ونتيجة للرعاية السامية من الشيخ زايد، حقَّقت المرأة الإماراتية تقدُّماً ملموساً في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية وإنشاء مجالس سيّدات الأعمال، وإطلاق جائزة سيّدات الأعمال في الإمارات، ويقدَّر حجم الاستثمارات في الأعمال التي تديرها كوادر نسائية بنحو 14 مليار درهم إماراتي، يديرها نحو 11 ألف سيّدة على مستوى الدولة، وتستثمر في ميادين متنوّعة كالتجارة والصيانة والأعمال المصرفية والعقارات والتأجير والتصنيع والسياحة والفنادق والمقاولات والبناء، كما شغلن الوظائف الفنية التي تشمل الطب والتدريس والصيدلة، إلى جانب انخراطها في صفوف القوَّات النظامية بالقوَّات المسلحة والشرطة والجمارك، وأصبحت معلّمة ومذيعة وصحفية وباحثة اجتماعية، وعملت في كل المجالات التي تتناسب مع طبيعتها وتحافظ على تقاليدها.

المجال الثقافي

شهدت دولة الإمارات العربية المتحدة تطوراً بالغاً في مجال الثقافة عامةً وثقافة المرأة على وجه الخصوص، بعد أن تعدَّدت الروافد الثقافية من صحف ومجلات، وكان للراديو والتلفاز دور في إمداد المرأة بثقافة عامة ومتنوّعة في مختلف المجالات، وجاء دور وسائل الإعلام، التي عادت بالنفع على المرأة وأسرتها، وظهرت الجمعيات النسائية التي عملت على تقديم خدمات ثقافية واسعة بما تحتويه من لجانٍ ثقافية ودينية وتراثية تقوم على شؤون المرأة والطفل وتشجع المرأة على الإبداع وتنمية المواهب، وإصدار الكثير من الكتب ونشرات التوعية والمجلات التي تخدم المرأة.

وقد تمخَّضت هذه المسيرة عن بروز شخصيات نسائية مثقَّفة أسهمت في بناء مجتمع الإمارات، وأكسبته هُويةً ثقافية متفرّدة، كما شجَّع ظهور الأندية والمؤسَّسات الثقافية التي تدعمها الدولة ودور الصحافة التي تبنَّت أدب المرأة في توهُّج الإشعاع الثقافي.

لقد شكَّلت العقود الثلاثة الماضية بداية من التسعينيات قوَّةَ دفعٍ كبيرة باتجاه المستقبل، حيث استمرَّ دور المرأة في التزايد والتصاعد، وتشكَّل وعي المرأة وتمخَّض عن دور جوهري وبنَّاء عبر الكلمة المكتوبة التي احتلَّت مكانة بارزة وشكَّلت وعياً مستقبلياً ورسخت في الذاكرة.

لقد منح الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمه الله، الجيل الجديد من الفتيات والمرأة بصفة عامة، فرص المشاركة في نهضة البلاد وحمل عبء التقدُّم فيها، فظهر الكثير من الشخصيات ممَّن تَرَكْن بصمةً في تاريخ الإمارات، الأمر الذي يعكس رؤيةً حضاريةً واعيةً وواضحةً من الشيخ زايد لدور المرأة، هذه الرؤية التي نبعت في الأيام الخوالي، عندما كان طفلاً صغيراً، وتأصَّلت ونضجت وهو يحفظ القرآن الكريم ويستلهم معانيه، بعقله الواعي وقلبه العامر بحبّه للإنسانية جمعاء، ولأبناء شعبه الطيّبين بشكل خاص.

المؤلفة:

مريم سلطان المزروعي:
كاتبة وباحثة إماراتية.

كتاب في دقائق

ملخصات لكتب عالمية تصدر عن
مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

زايد

من مدينة العين إلى رئاسة الاتحاد

تأليف:
راشد عبد الله النعيمي

زايد رجل بادية

نعم.. زايد رجلٌ بدويٌّ فيه كل صفات رجال البدو: الذكاء، والاستيعاب، وقوة التحمل، والصبر، والحكمة، والنظرة البعيدة، وحبه للصحراء وعاداتها.

كان زايد يحب البدو ويحبُّونه، يعرف تقاليدهم ويعشقها. جاء هذا الحب لحياة البدو وللصحراء عندما كان ممثلاً لحاكم أبوظبي في مدينة العين والمنطقة الشرقية ما يقرب من عشرين عاماً. هناك عاش مع البدو كواحدٍ أصيل منهم، يكاد يعرف كل الأفراد في كل قبيلة، يحب حياتهم، وأشعارهم، وأمسياتهم، وكان يستعين بالقبائل في بناء المشروعات والأفلاج، وكان يحب الجِمال، وخصوصاً الجِمال العُمانية التي تعدُّ أسرع جِمال في العالم. يُحب القهوةَ العربية المُرَّة، والخيول العربية الأصيلة، وله شهرة كبيرة بين رجال البدو كأحسن فارس. يُجيد استخدام البنادق والصيد بالصقور، ومن هنا ولكل هذا أحب البدو وأحبوه.

زايد هو الرجل القوي في منطقة العين وضواحيها، حيث امتدَّ نفوذه إلى أرض الظفرة، وقد كرَّسَ الشيخُ زايد، رحمه الله، المالَ القليل الذي توافر لديه للقيام بإصلاحات في مناطق حكمه، ويرجع إليه فضل بسط نفوذ أبوظبي على البادية بسبب عدالته، وروحه الإصلاحية، وقدراته السياسية.

قضى المغفور له الشيخ زايد عشرين عاماً في مدينة العين، أحب القبائل وأحبته، فمن خصال الرجل العظيم حرصه على تطوير حياة البدو، فكم من مرة حاول إقناعهم بسكن المدن، وأقام لهم المساكن التي تُلائم أمزجتهم ومتطلَّباتهم، وقد نجح في ذلك كثيراً، ومع ذلك فضَّلت بعض القبائل أن تعيش في الصحراء، وكان يعلم أنَّ نقل البدو من حياة الصحراء إلى حياة المدن مرة واحدة ليس بالأمر السهل، وقد وفَّر لهم كل ما يحتاجون إليه من مال ومواد غذائية، وسيارات، ومضخات لرفع ودفع المياه. حتى في الصحراء، لم تعد حياتهم بتلك القسوة التي نشؤوا عليها. لقد أسهم زايد في رفع مستوى حياة كل عشَّاق الصحراء. إنَّه زايد ابن البادية وقائدها وصديق كل قبائلها.

زايد والنهضة

منذ أكثر من نصف قرن، وبالتحديد عام 1946، أصبح الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان مسؤولاً عن المنطقة الشرقية، ومن هنا تجلَّت شخصية الرجل المسؤول الذي يفكّر في مصلحة شعبه، كان يريد نهضة بلاده، والعبور بها إلى عالم النور.

في تلك الفترة المبكرة من حياته كانت تنقصه الإمكانات المالية والبشرية، ولكنَّه كان يؤمن بالتخطيط، وقد تمخَّضت خططه السبَّاقة عن:

- إصلاح الأراضي الزراعية.
- إصلاح القنوات والأفلاج.
- بناء أفلاج جديدة.

وفي فترة قصيرة استطاع زايد بمساعدة رجاله وأصدقائه أن يحفر فلجاً جديداً هو فلج الصاروج، وبعد ثمانية عشر عاماً تم بناء الفلج، وهو عبارة عن سرداب طويل يمتدُّ في باطن الأرض لعدة كيلومترات لتسيل فيه المياه دون أن تتبخَّر بسبب حرارة الشمس الملتهبة، كما أمر بتطهير الأفلاج القديمة والقنوات التي تنقل الماء إلى الأراضي الزراعية، وشراء مضخَّات بما توافر من موارد مالية، وهكذا بدأ الماء ينسابُ إلى الأراضي الزراعية، وبدأ اللون الأخضر يكسو المنطقة الشرقية، وأصبح الناس في المنطقة كلها يحصلون على كل أنواع المزروعات ويصدّرون الباقي إلى مدينة أبوظبي والإمارات المجاورة.

شهدت المنطقة الشرقية نوعاً جديداً من الحضارة، وحدث التحوُّل إلى مجتمع زراعي منتج ومستقر في أرضه، مطمئناً بأنَّه سيجد حاجته من الغذاء كل يوم، وعاش الناس بقيادة زايد في حالة من الاستقرار لم يشهدوها في تاريخهم الطويل. أي إنَّ البساتين الخضراء التي نراها اليوم في مدينة العين كانت بداية عصر النهضة التي شغلت بال زايد وهو يَهبُ نفسَه وحياتَه وفكرَه ومالَه لشعبه في كل موقع من مواقع الحياة في أبوظبي.

ومع البحث عن مصدر ثروة في المنطقة الشرقية، كان الشيخُ زايد يرى أنَّ العلم هو أساس الحضارة والرقي، وأنَّه لا بد أن يُعلِن الحرب على الجهل الذي كان يسود المنطقة. كان يريد أن يرى أطفال البلاد يحملون حقائبهم في طريقهم إلى المدارس ليصبحوا بعد سنوات رجالاً مثقَّفين، يضعون ثقافتهم في خدمة المجتمع.

في عام 1959، أنشأ المدرسة النهيانية الابتدائية في العين. كان زايد يزور الطلاب في المدرسة والبيوت ليرعاهم ويشجّعهم، فهم الأمل في

بناء المستقبل، وكان لهذه المدرسة الصغيرة الفضلُ في وجود جيل جديد من المتعلّمين والمثقَّفين في إمارة أبوظبي.

كان الاتجاه الثالث بعد الزراعة والتعليم، هو النهضة العُمرانية؛ إذ شجَّع الناسَ على البناء، ومن أشهر الأبنية التي أقامها الشيخ زايد في تلك الفترة المبكّرة قلعة العين المربَّعة، ثم السوق الكبيرة في العين التي أقيمت لتنشيط الحركة التجارية. هكذا شهدت العين الاستقرار على يدي الشيخ زايد فتمخَّضت هذه النهضة عن:

- انتهاء الحروب بين القبائل تماماً.
- نهضة شاملة بسبب الاستقرار.
- زيادة الكثافة السكانية بسبب قدوم السكان من مناطق متفرّقة ليعيشوا في أمن وسلام.

النقلة الكبرى

في عام 1966 وقع أعظم حدث غيَّر مجرى التاريخ في المنطقة كلها؛ إذ تسلَّم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حكم إمارة أبوظبي كلها، فتحقَّق له ما كان يحلم به في شبابه وصار يملك القوَّة المالية الكافية لتحقيق رؤيته العظيمة.

بدأ زايد يبعث النهضة في كل مكان بالإمارة، بل إنَّ النهضة قد بُعِثَت في الإمارات المجاورة. قال زايد: «لا بد من إسعاد هذا الشعب وإقامة نهضة شاملة في المجالات كافة»، و«ينبغي ألا نعرف النوم كي نصل إلى تحقيق كل آمالنا في فترة قصيرة»، وعندما قيل له إنَّ تحقيق هذه الأفكار يحتاج إلى عشرات السنين، قال: «بالإيمان والعمل المتواصل علينا أن نختصر الزمن».

فتح زايد أبواب أبوظبي لكل الخبرات لتأتي وتشارك أبناء البلاد وتعمل على إقامة نهضة سريعة تسهم في تحسين حياة الناس، وقد أسهم الخبراء ورجال زايد في إعداد وتنفيذ العديد من الخطط التي شملت:

- العمران لكي يسْكنَ المواطنون في منازل عصرية.
- الطرق التي تسهل للمواطنين سبل الانتقال.
- إقامة المدارس ليحظى كل أبناء زايد بفرص التعليم.
- المستشفيات لرعاية المواطنين والوافدين.
- الموانئ والمطارات لدعم التجارة وكل مناحي الاقتصاد.

جاء خبراء التخطيط من العالم العربي، وأشرف زايد بنفسه على تخطيط أبوظبي. كان يقول لهم:

«لا بد من السخاء حتى نحصل على ما نريده بسرعة فائقة. نريد أيُّها الرجال أن نختصر الزمن، وأن نصل إلى أهدافنا بأحسن الطرق وأسرعها، فلقد عانى الشعب الكثير».

ويضيف: «**أعلم أنَّ هناك أخطاء لا بد أن تحدث، وأنَّ تكاليف المشروعات سوف تزيد بسبب سرعة إنجازها، ولكن من لا يعمل لا يخطئ، ولا بد أن نعمل، ونستفيد من الخطأ.. المهم أن نبدأ ونسير**».

رأى الشيخ زايد ألا يقلَّ ما يخصَّص لمشروعات التنمية في ميزانية كل عام عن 80 ٪ من واردات البترول، فأسهم في إرساء مبدأ يعترف صراحةً بحق الناس في ثروة بلادهم وخيراتها، وفي هذا قال كلمته المأثورة: «**لا**

قيمة للأموال إذا لم تستثمر في تحقيق خدمة ومنفعة الجماهير، فالأموال زائلة والأعمال باقية أبد الدهر».

في البداية كان يفكّر في المنطقة الشرقية، ثم انتقل إلى أبوظبي، ثم في كل الإمارات المجاورة، ويسهم في بناء المدارس والمستشفيات والطرق ومشاريع الكهرباء وغيرها، وهو يقول في هذا الصدد: «**نحرص على العودة والإخاء في ما بيننا، فأنت إن أخذت شيئاً من يدك اليمنى لتضعه في يدك اليسرى فهل يمكن أن يقال إنَّك فقدت شيئاً؟ نحن جميعاً إخوة وجسد واحد**». نعم، هذا هو زايد.. باعث النهضة، ومحقّق آمال الشعب.

زايد السياسي

كان إيمان الشيخ زايد بوحدة المنطقة، كإيمانه بالله. كان يرى في الوحدة العلاج الوحيد لكل مشاكل المجتمع من فقر وتخلُّف ومرض.

مرَّت سنوات طوال كان فيها ممثلاً للحاكم في مدينة العين، وخلال هذه السنوات التي بلغت عشرين عاماً أقام جسوراً من الصداقة والود بينه وبين الأشقاء حكام الإمارات ورجال الأعمال وزعماء القبائل، وأبناء البلاد، وفي يوم رائع من أيام أغسطس عام 1966 تولَّى الشيخ زايد ـ السياسي الطموح ـ حكم إمارة أبوظبي، وأصبح من هذا الموقع أكثر قوَّة في مسيرته بخطوات القائد المؤمن بهدفه السياسي، ألا وهو وحدة شعب الخليج العربي.

كان يرى في وحدة الإمارات البديل الوحيد لسدّ الفراغ الذي قد تتركه بريطانيا بعد انسحابها من الخليج العربي، فوحدة الإمارات هي البوتقة التي ينصهر فيها كل ما يمكن أن يطرأ من تناقضات داخل الإمارات أو داخل الإمارة الواحدة، فالوحدة هي الطريق الوحيد للبناء الداخلي

السليم، سواء أكان هذا البناء سياسياً أم اجتماعياً، وكان يرى أنَّ إقامة الدولة الاتحادية يجب أن تتمَّ عبر جسرين:

- **الأول**: إقامة علاقات طيّبة مع الدول التي تهتمُّ بمنطقة الخليج العربي، وخصوصاً الدول العربية، وذلك لشرح وجهة نظر أبناء الإمارات في قضية الوحدة، ومساندة هذه الدول في تحقيق أغلى أماني شعوب كل المنطقة.
- **الثاني**: وضع إمكانات أبوظبي المالية والبشرية في خدمة المواطن في كل أنحاء الإمارات العربية، وهذا ما حدث منذ اليوم الأول لتولّي الشيخ زايد حكم البلاد.

لقد تجلَّت للمرة الأولى حقيقة منطقة الخليج العربي في كل أنحاء العالم العربي، وبدأت ملامح الصورة التي سيبدو عليها الخليج، وهي الصورة التي عكست آمال وأماني كل أبناء الخليج العربي. كانت الحملة الإعلامية التي قامت بها أبوظبي في عامي 1967ـ1968 بمثابة الجسر الطويل الممتد الذي عبر عليه أبناء الخليج إلى قلب الأمة العربية.

بدأت مشاركة أبوظبي الإيجابية في نشاطات الجامعة، وخاصة ميداني الإعلام والاقتصاد على السواء، ففي الميدان الإعلامي: شاركت أبوظبي في كل جلسات اللجنة الدائمة للإعلام العربي، ومؤتمر وزراء الإعلام العرب، فضلاً عن المشاركة المالية في صندوق الدعوة العربية، وعلى المستوى الاقتصادي: أقيمت علاقات تجارية ثنائية بين أبوظبي وكثير من الدول العربية، وأنشأت أبوظبي الغرفة التجارية العربية الفرنسية، وعلى المستوى القومي: أسهمت أبوظبي في تقديم المساعدات للقوات العربية، والمقاومة الفلسطينية، وسخَّرت مكاتبها في الخارج لخدمة القضايا العربية.

ثم بدأت مرحلة ثانية من مراحل العلاقات بين الدول العربية، حيث زار الشيخ زايد الدول العربية شارحاً آمال شعب الخليج العربي في قيام اتحاد يضمُّ الإمارات العربية، في دولة اتحادية قوية تمهيداً لوحدة شاملة، وشرح لهم أهمية قيام هذا الاتحاد.

وعلى أرض الخليج العربي، وضع الشيخ زايد سياسة استراتيجية راسخة تؤكّد أنَّ ثروة أبوظبي هي ملك لشعب الخليج العربي، ولم تكن القضية مجرَّد إطلاق شعارات، بل كانت تحقيقاً لهذه الشعارات على أرض الواقع، حيث شعر الجميع أنَّ الشعارات التي أعلنها زايد الخير قد تحقَّقت بالفعل، وأنَّه لم يبقَ سوى إعلان دولة الإمارات العربية المتحدة، لتأخذ وضعها السياسي وتلعب دورها الحضاري بين دول العالم.

كان زايد قد مهَّد الطريق أمام إعلان الاتحاد. نعم، مهَّد الطريق السياسي على الصعيد العربي والإقليمي والعالمي لإقامة دولة الاتحاد قبل الانسحاب البريطاني من الخليج العربي، وبعد هذا الجهد الكبير الذي قام به الشيخ زايد وعلى مدى سنوات، تحقَّق حلمنا في إقامة دولة الإمارات العربية المتحدة، وقد حظيت دولة زايد الرائد بتأييد كامل من الدول العربية.

لقد أرسل الشيخ زايد الوفود إلى كل الدول العربية لتؤكّد ما سبق أن أكَّده ـ طيّب الله ثراه ـ حول أهمية قيام اتحاد الإمارات، ومن هنا رحَّبت الدول العربية بقيام دولة الإمارات العربية المتحدة التي صارت اسماً على مسمَّى، ولأنَّ الدولة الجديدة بحاجة إلى علاقات دبلوماسية عامة، فقد كان الشيخ زايد يعدُّ أبناءه لهذا اليوم، حيث استطاع أن يربّي جيلاً من السياسيين خلال فترة قصيرة جداً. لقد بدأ إعداد جيل

من الدبلوماسيين وأرسل سفراء مؤثّرين في أنحاء العالم لتمثيل دولة الإمارات العربية المتحدة.

هذه هي شخصية السياسي التي عكستها ورسَّختها شخصية المغفور له الشيخ زايد، وبمثل هذه العقلية المتفتّحة استطاع الشيخ زايد، رحمه الله، أن يُحقّق لشعب الإمارات خاصة والخليج عامة، أعظم آماله.

زايد ربُّ أسرة

الوالد العظيم يحمي أسرته، ويهتمُّ بمستقبل أبنائه، ويسعد كلما رأى ابناً من أبنائه وقد أصبح علماً مشهوداً في هذا العالم. كانت الأسرة في البداية هي أسرته الصغيرة، وفي عام 1946 أصبحت أسرته هي كل سكان المنطقة الشرقية، ثم في عام 1966، أصبحت أسرته كل أبناء إمارة أبوظبي، ثم امتدَّت رعايته إلى الأسرة الخليجية قاطبة.

كان الشيخ زايد رحمه الله يستمع لكل واحد من المتخاصمين في هدوء، ثم يبدي حكمه الحكيم، فيخرج المتخاصمون من عنده وهم راضون بحكمه العادل، ومن أقوال الشيخ زايد التي تعكس نظرته الأبوية لكل أبناء الإمارات كأسرة واحدة:

- «العلم والتعليم بَصَرٌ للإنسان يهديه طريقه في الحياة».
- «لا قيمة للمال إذا لم يُسخَّر لخدمة الشعب».
- «أعتبر نفسي ربَّ عائلة كبيرة هي الشعب، وإنَّ واجب ربّ العائلة أن يرعى شؤون عائلته، ويعمل لسعادتهم ورفاهيتهم».
- «إذا عاش الحاكم لنفسه وسخَّر أموال الشعب في مصلحته الشخصية يغدو لا قيمة له عند الله وعند الناس».

- «يجب أن نتذكَّر الماضي بعين معتبِرة، وقلبٍ واعٍ، وأن يكون الماضي عبرة نعتبر به لحاضرنا. إذا أمعنَّا النظر في الأرض القاحلة لوجدناها قد تحوَّلت إلى أرض خضراء، والأرض الجدباء الخالية تحوَّلت إلى عمارات وأسواق حديثة، وطريق الأيام أصبح يُقطَع في ساعات. أكثر ما يفرحنا ويسعدنا، هو الراحة التي ينعم بها الشعب الآن، وهذا دليل على رضى الله علينا. إنَّ الأمن والطمأنينة اللذين نشعر بهما ما هما إلا نتيجة لتوفيق الله ورضاه عنّا».

- «أحب أن أوزّع هذا الخير الذي رزقنا الله إياه على جميع أبناء الشعب، وإنَّني أحب أن أوفّر لأهل كل منطقة حاجياتهم من ماء صالح ورعاية صحية وتعليم لأبنائهم في القرى الجديدة التي ننشئها لهم في الظفرة والمنطقة الشرقية حتى لا يهجر الأهالي مواطن الآباء والأجداد، وحتى يحافظ شعب أبوظبي على تقاليده العربية الأصيلة وتعاليم الإسلام الحنيف».

- «هذه الثروة ملك لأبنائي؛ أسرة الخليج كلها لا بد أن تتمتَّع بما وهبنا الله به».

- «أفراد المجتمع إنما هم إخوة لي، لهم من الحقوق عليَّ ما لأهلي وأكثر، ومن واجبي أن أجعلهم يزدادون ثقافة وعلماً، وأن يصلوا إلى الرفاهية والازدهار، وأن تتميَّز حياتهم بالاستقرار وراحة البال».

- «نحن من الآن نعدُّ العدَّة لنُعطي المواطنين ونُفسِح لهم المجال والطريق حتى يشاركوا في حكم بلدهم وتسيير أمورها الداخلية والخارجية، ونحمّل المواطن المسؤولية حتى يشعر بمسؤوليته نحو وطنه وقوميَّته من الآن، ونحن بدأنا بهذا وسنمشي فيه إلى النهاية».

كان الشيخ زايد كربّ أسرة، يُنصِف الابن المظلوم، وينهر الابن الظالم، ويصنع لأفراد أسرته المُناخ العادل، ولذلك فإنَّ أسرة مدينة العين بدأت تشهد هذه الرعاية فور تولّي الشيخ زايد، فأصبحت السقاية في منطقة العين وضواحيها مشاعة لجميع الناس، وقسمت السقاية على الأراضي والبساتين بالعدل، وتم إصلاح وحفر الأفلاج، ونتيجة لهذه المواقف، ارتفعت أسعار الأراضي، وزاد دخل الفقراء، وتضاعف الإنتاج الزراعي.

ثم انتقل الأمير الشاب إلى القصر الأميري في أبوظبي، وأصبح ربَّ أسرة كبيرة هي أسرة الإمارة كلها، وانصبَّ اهتمامه منذ اليوم الأول الذي تولَّى فيه الحكم على: «إسعاد أبناء البلاد». جمع الشيخ زايد عشرات الخبراء من الدول العربية ووضع خطَّةً طموحةً لأبناء البلاد، حيث يجد المواطن الحياة السعيدة، وكان على الخطَّة أن توفّر كل ما يحتاج إليه المواطن من مياه الشرب، والكهرباء، والسكن، والخدمات التعليمية والصحية، فتمَّ إنشاء المدارس والمعاهد المهنية وفتح الطرق ورصفها.

الاهتمام بالإنسان

ركَّزت استراتيجية وخطط الشيخ زايد، رحمه الله، على إعداد المواطن الصالح، فوضعت في الاعتبار ضرورة توفير معاهد العلم اللازمة لأكبر عدد من مواطني الإمارة، وإغرائهم بشتى الطرق والوسائل للالتحاق بالمدارس والمعاهد، ابتداءً من مرحلة رياض الأطفال إلى المدارس الابتدائية، فالإعدادية، فالثانوية، فالمعاهد الدينية والمهنية والجامعات، وفي سبيل تشجيع الناس على إرسال أبنائهم إلى المدارس، قرَّر الشيخ زايد تخصيص رواتب معيَّنة لكل من يريد أن يتعلَّم، وكان الغرض من هذا كله إعداد جيل

مثقَّف يستطيع أن يشارك في بناء البلاد. أمَّا الجيل الذي لم تتح له فرصة التعليم، فإنَّ الخطَّة لم تغفله، إذ تضمَّنت إنشاء مراكز مهنية، ومدارس ليلية، ومن الناحية الصحية رُصِدت مبالغ - إضافة إلى المستشفيات وتأمين العلاج المجاني- لإقامة المستوصفات في مختلف مناطق البلاد.

كان الشيخ زايد يقول للخبراء: «**لا بد أن يشمل تخطيطكم جميع أفراد الأسرة؛ الرجل المسن الكبير وكيف نرعاه، الزوجة، الشاب، الطفل، فكل ثروة البلاد للأسرة**»، وظل يؤكد: «**لا بد أن تقام دائرة كبيرة للشؤون الاجتماعية، ومن خلال هذه الدائرة لا بد من توفير العلاج لكل الأمراض التي قد يتعرَّض لها أي فرد من أفراد الأسرة**».

لقد أنشئت دائرة الشؤون الاجتماعية لتضع خدماتها في سبيل إسعاد الأسرة، واستعانت بخبراء في الشؤون الاجتماعية، وقامت بتشخيص هذه الأمراض، ووضعت العلاج لها، وكانت كل الأجهزة تعمل من خلال هذه التقارير لتوفّر للأسرة كل سبل الحياة السعيدة، فكان كل اهتمام قطاعات هذا الجهاز الكبير هو الإنسان في كل المراحل:

- مرحلة الطفولة.
- مرحلة الشباب.
- مرحلة الشيخوخة.

هكذا كان اهتمام الشيخ زايد كربِّ أسرة بكل أفراد أسرته الكبيرة: من العامل، إلى الطبيب، إلى الشاب، إلى الشيخ، والطفل، وكان من يجلس في مجلسه يرى ويسمع وتعتريه الدهشة وهو يرى الأمير القائد يستمع إلى مشكلات كل أفراد هذه الأسرة ويحل بنفسه هذه المشكلات.

لقد شعر الشيخ زايد أنَّ بناء المواطن من أهم الأمور، فاستطاع خلال فترة قصيرة أن يبني الإنسان، ثم أعطى لهذا المواطن المخلص مسؤولية مشاركة الأب في تنظيم أمور الدولة، ثم كبرت الأسرة فأصبح الأمر بينهم شورى، فأقيم المجلس الاستشاري الوطني، وكان الشيخ زايد يقول:

- «ثمَّة حقيقة واضحة في هذه الحياة، وهي أنَّ من يقود عباد الله إلى الإخلاص ورضى الله عنه، هو سعيد، وسيصل إلى المنزلة التي ينشدها من السمو والرفعة وإلا أرسل الله غيره ليقود، وأنا لم أفعل شيئاً بعد، فأمامي الكثير لأقوم بعمله من أجلكم. لقد رزقنا الله بالثروة والإمكانات، ولقد قمت بواجبي ولم أقصّر أو أتقاعس، ولكن لم أجلب الثروة، لقد أرسلها لنا الله وقادنا إلى استخدامها في الطريق الصحيح، لأنَّ الثروة إذا لم تصرف في طريقها الصحيح أصبحت نقمة بدلاً من أن تكون نعمة».
- «أيها الناس، عليكم أن تعلموا أنَّ وطنكم هو بمثابة والديكم، ولن تكون لنا عزَّة أو كرامة أو جاه أو سلطان من دون هذا الوطن، فهو حياتكم ومماتكم، ويجب أن يكون مطلبكم الأول والأخير، واعلموا أنَّ إيمانكم بالله يتلوه ويعقبه إيمانكم بوطنكم».

فلم يكن الشيخ زايد رحمه الله يعامل المواطنين على أساس أنَّه حاكم، بل على أساس أنَّه والد ورب أسرة قبل أن يكون حاكماً. هذا هو الشيخ زايد؛ رب الأسرة ووالد الجميع، الأب البار الذي وضع كل إمكاناته وطاقاته وأفكاره في خدمة كل أبناء وأفراد أسرته؛ أسرة الخليج العربي.

زايد والدولة الجديدة

قال سمو الشيخ زايد: «**الاتحاد أمنيتي وأسمى أهدافي لشعب الإمارات العربية، فأبناء هذه المنطقة جميعاً شعب واحد. أبناء هذه المنطقة جميعاً إخوة من أصل واحد، لغتهم واحدة ودينهم واحد، وحتى الأرض التي عاشوا عليها منذ آلاف السنين كانت دائماً وحدة واحدة. لقد جمعهم التاريخ دائماً في صف واحد أمام الغزاة والطامعين وفي مواجهة المحن، وأنا في الحقيقة لا أقول شيئاً جديداً، فهذه الوحدة قائمة وموجودة منذ القدم ويشعر بها أبناء الإمارات في أعماق قلوبهم، إنَّني أنادي فقط بأن توضع هذه الوحدة في إطارها الطبيعي وتأخذ شكلها الرسمي النابع من جوهرها الحقيقي**».

كان الشيخ زايد يؤمن بأنَّ الاتحاد لا بدَّ أن يبدأ ولو بخطوة واحدة على الطريق، وأنَّ هذه الخطوة ستتبعها خطوات وخطوات. بدأ اللقاء المستمر بين إخوته حكام الإمارات الشقيقة، وبحث معهم كل الموضوعات، وبدأ يضع الحلول لكل مشكلة، ويُضحّي من أجل القضاء على كل تلك العقبات، فأصبح الاتحاد بين يومٍ وليلة هو حديث الناس في الخليج.

وفي الوقت نفسه، شكَّل الشيخ زايد عدداً من اللجان لدراسة كل ما يتطلَّبه الاتحاد، من كل النواحي الدستورية، والقانونية، والاقتصادية، وكل ما تطلبه الدولة الاتحادية من لوائح وقوانين ومال وبشر.

كانت الخطوة الأولى على طريق الاتحاد بين الشيخ زايد وشقيقه الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم حاكم دبي، إذ وقَّعَ الرجلان اتفاقية دبي الشهيرة في فبراير عام 1968، وكانت أهم أهداف هذه الاتفاقية دعوة جميع الأشقَّاء في المنطقة إلى الدخول في هذا الاتحاد.

كان إيمان الشيخ زايد يزداد يوماً بعد يوم بإمكانية قيام الاتحاد، وأراد للدولة الجديدة أن تقوم على أسس متينة، فبدأ على الفور في بناء جيل من أبناء الخليج لكي يتسلَّموا مسؤولية إدارة الدولة الجديدة: أرسل أبناءه وبناته في بعثاتٍ دراسية، وجعلهم يمارسون المسؤولية في دوائر أبوظبي، وبدأ بإحضار الخبراء إلى البلاد للتخطيط لمستقبل الاتحاد.

كان زايد صانع الاتحاد، يرى أنَّ الدولة الجديدة في حاجة إلى تأييد الأمة العربية، وبدأت اللقاءات العربية بين عظمة الحاكم والأشقَّاء ملوك ورؤساء الدول العربية، والحديث الأساسي بين هؤلاء عن الاتحاد كان حول ظروف المنطقة. تمكَّن زايد أيضاً من الفوز بتأييد الدول ذات المصالح والمهتمة بمنطقة الخليج العربي، فأجرى بنفسه هذه الاتصالات حتى ذلَّل كل العقبات التي من الممكن أن تعترض طريق الاتحاد، وفي فترة وجيزة لا تكاد تذكر في التاريخ وعمر الزمن، وجد الشيخ زايد رحمه الله:

- أنَّ دول الخليج العربي تتمنَّى قيام الاتحاد.
- والأمة العربية تؤيّده بعد أن شرح أهمية الاتحاد لمستقبل المنطقة.
- والعالم كله بكل اختلافاته وتوجُّهاته يؤيّده أيضاً.

عندما أعلن عن قيام دولة الإمارات العربية المتحدة، تحقَّق حلم سكان أبوظبي ودبي والشارقة وعجمان والفجيرة وأم القيوين، ورأس الخيمة قال ـ طيّب الله ثراه ـ: «**إنَّنا لا نعتبر أنَّ رأس الخيمة خارج الاتحاد، ونأمل أن تثمر الجهود لتذليل بعض العقبات البسيطة، والنتائج التي تم التوصُّل إليها حتَّى الآن تبشّر بالخير حيث نأمل أن يُعلن الاتحاد سباعياً إن شاء الله**»، ثم انضمَّت إمارة رأس الخيمة إلى الدولة الجديدة

وأصبحت العضو السابع في دولة الإمارات العربية المتحدة، وبعد هذا الإنجاز التاريخي والحضاري العظيم قال مؤسّس الإمارات: «**الاتحاد أغلى شيء، وهو المطلب الأول والأخير، وهو مصلحة وغاية كبرى للمنطقة وللوطن العربي، إنَّه يُجسّد نموذجاً من نماذج الوحدة الشاملة التي يسعى إليها الوطن الكبير، وأعتقد - بل أؤمن- أنَّ المستقبل الزاهر والرخاء سيكونان من نصيب هذه الدولة**».

أمَّا عن إمكانية انضمام الأقطار الأخرى من الخليج العربي إلى الاتحاد فنحن نعتبر إخواننا في قطر والبحرين أشقَّاء أعزاء سواء أكانوا داخل الاتحاد أم خارجه، إذ إنهم لحم ودم مجاور وشقيق ولا غنى لنا عنهم ولا غنى لهم عنا، وإذا كنَّا معهم في الاتحاد أم لم نكن، فإنني أعتقد أنَّ مصيرنا واحد لا يتجزَّأ، مرتبط ارتباطاً وثيقاً، ارتباط شعوبنا، وإنَّنا نؤمن إيماناً كاملاً أنَّ ما يسعدهم يسعدنا، وما يكربهم يكربنا، وما دامت هذه عقائدنا وما دام بابنا مفتوحاً دائماً، فلا بد أنَّنا وإيَّاهم سنلتقي إن شاء الله على ما يرضي الله ويرضي شعوبَنا وأمَّتَنَا.

ويضيف باني أمَّة الإمارات: أهم شيء في المرحلة القادمة هو إيجاد الدولة وإبرازها، فإذا وجدت، فسنعرف كل ما تحتاجه من مشاريع، وستنشأ وزارات تتولَّى الإشراف على وضع وتنفيذ المشاريع في الدولة الجديدة، وستكون الخطوة الأولى تشكيل حكومة الاتحاد من كافة إمارات الاتحاد، وهي التي تتولَّى رسم سياسة الاتحاد في كافة المجالات، وإنَّ ثروة المنطقة بأكملها لأبنائها وكل مواطن في أي إمارة يعدُّ مواطناً اتحادياً له كل الحقوق ومتساوياً مع غيره من أي إمارة أخرى تمام المساواة، وستكون علاقتنا مع جميع دول العالم قائمة على أساس العدل والسلام،

ونحن نؤمن بأنَّ الأخوَّة أساس التعامل مع الأشقَّاء العرب والسعي إلى مساندة السلم والرخاء في العالم، ولا نريد أن يكون بين الاتحاد وأي جهة أخرى أي خلافات أو مشاكل، بل نريد أن يبدأ الاتحاد بسلام، وأن يستمرَّ بسلام، وسنقيم سفارة في البداية في بعض البلدان إلى أن يتسنَّى لنا بعد ذلك تبادل التمثيل مع كل دول العالم.

حقاً، إنَّ الزعيم ليولد وله صفات ليست موجودة في الرجل العادي، ومن أهم هذه الصفات العمل لصالح أكبر عدد من البشر، والاتحاد يخدم كل سكان الإمارات، ويضع إمكانات صانع الاتحاد تحت أمر سكان الدولة الجديدة.

زايد المؤمن بالله

كان الشيخ زايد يجتمع بالعلماء ورجال الدين، ورجال التربية والتعليم، فكان بعضهم لا يعرف المشكلات الاجتماعية الناتجة عن التخلُّف وأسوار العزلة التي فُرِضت على المنطقة. كان يتحدَّث إليهم، ويقول: «**عليكم أن تقولوا للناس إنَّ الدين الإسلامي العظيم يفرض علينا أن نحلَّ هذه المشكلات**»، وانتشر الرجال يضعون مشاكل المجتمع وحلولها في إطار الدين، وانطلقوا في المساجد والمدارس يثقّفون الناس حول عظمة وقوَّة الدين الإسلامي ودوره في بناء المجتمع والإنسان.

ولذا، عندما بدأت المدارس تنتشر في أبوظبي، حرص الشيخ زايد، رحمه الله، على أن يعرف بنفسه المناهج المقرَّرة على الطلبة، لأنَّه يؤمن بأنَّ الصغار يجب أن يعرفوا عظمة الدين الإسلامي، وليس هذا فقط، بل أمر بإنشاء المعهد الديني في مدينة العين، وركَّز على الاهتمام

بطلاب المعهد فقدَّم لهم: رواتب شهرية، ووجبة غذائية، وملابس، وأمَّن المواصلات إلى دار المعهد، والعناية الصحية، وفي هذا المنحى قال طيَّب الله ثراه: «إذا كان الله جل وعلا قد منَّ علينا بالثروة، فإنَّ أول ما التزمنا لرضى الله هو أن توجَّه هذه الثروة لإصلاح البلاد ولسَوْق الخير إلى شعبها، وذلك عن طريق بناء مجتمع تتوافر فيه وسائل التعليم والصحة والمسكن الملائم».

هكذا أكَّد الشيخ زايد المؤمن أنَّ إلهامه هو ديننا الحنيف، وأنَّ كل عمل يقوم به مستمدٌّ من هذا الإيمان، فإذا ما قرأنا وجهة نظره في المجتمع، نجد أنَّ القوانين الاجتماعية مستمدَّة من الدين، فقد أوجد ديننا الجوانب الإنسانية حفاظاً على الأسرة وعلى المجتمع، ومن هنا صدرت التشريعات الاجتماعية تأكيداً على ذلك.

في وزارة الشؤون الاجتماعية مثلاً، نجد التأكيد ـ بأمر سمو رئيس الدولة ـ على ضرورة مساعدة الأسرة حفاظاً على وجودها، فهناك قانون المساعدات، وهو قانون يكفل للمواطن الأمن والحفاظ على دينه، وقد أمر الشيخ زايد رحمه الله أن تقدَّم المساعدات لكل من:

- الأرامل حتى يصنَّ أنفسهنَّ من الحاجة.
- الزوجة التي هجرها زوجها، لها ولأولادها.
- العوانس اللواتي تجاوزن الأربعين دون زواج.
- اليتيم، سواء من فقد والديه أو فقد والده.
- مولود لم يعرف أباه، إذ لا ذنب له في ذلك.
- كبار السن، رحمة بهم وبشيخوختهم.

هـذا هـو مـا صنعـه الشـيخ زايـد تنفيـذاً لتعاليـم ديننـا الإسـلامي برعايـة اليتامـى والمسـاكين والمحرومين، وليـس سـراً مـا قدمـه الرجـل المؤمـن مـن مسـاعدات إلـى المؤسَّسـات الدينيـة العربيـة، وهـي مسـاعدات كثيـرة مـن رجـل مؤمـن.

هـذا هـو الرجـل المؤمـن.. الـذي يقـول دائمـاً إنَّ أعظـم كتـاب قـرأه فـي حياتـه هـو كتـاب اللـه.

ختامه مسك

امتـاز المغفـور لـه الشـيخ زايـد عـن غيـره مـن القـادة بأمـور كثيـرة، فالرجـل عـاش فـي الصحـراء كل صبـاه وشـبابه، وتسـلم حكـم البـلاد وكانـت صورهـا معروفـة للجميـع، وعـاش سـنوات مـا قبـل الوحـدة بـكل تفاصيلهـا.

عظمـاء العصـر هـم الذيـن يتركـون الآثـار العظيمـة لشـعوبهم، ولأجيـال قادمـة. لـم يكـن زايـد يفكّـر فـي ذاتـه، وفـي راحتـه، بـل كان يفكّـر فـي كل سـكان الإمـارات، وفـي كل أفـراد الأسـرة الخليجيـة، فليـس المهـم الراحـة الذاتيـة، بـل المهـم أفـراد كل الأسـر؛ الصغيـرة منهـا والكبيـرة.

لقـد أقـام الشـيخ زايـد رحمـه اللـه دولـة مـن العـدم، وبمقوّمـات تحتـاج إلـى عمـل شـاق وصبـر طويـل، ولـم تمـضِ إلا سـنوات معـدودات، حتـى اسـتطاع أن يجعـل علـم دولتـه يرفـرف فـوق مُنظَّمـة الأمـم المتحـدة، وعلـى مبنـى جامعـة الـدول العربيـة.

المؤلف:

راشد عبد الله النعيمي:
كاتب وروائي من الإمارات، وزير خارجية الإمارات سابقاً، صدرت له أول رواية إماراتية بعنوان: «شاهندة».

كتاب في دقائق

ملخصات لكتب عالمية تصدر عن
مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة

زايد

ابن الصحراء صانع الحضارة

تأليف:

د. محمد مرسي عبد الله

جامعة الصحراء

ليست هناك صفة شاملة تجمع كل جوانب شخصية المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ـ طيّب الله ثراه ـ، وهي شخصية متعدّدة الجوانب، أكثر من أنَّه الابن الصادق لصحراء الإمارات وباديتها؛ ففيها ترعرع، وعلى رُباها نشأ.

وُلِد الشيخ زايد في قصر الحصن في أبوظبي، ولكنَّه تربَّى وشبَّ عن الطوق في قلب الصحراء، التي شكَّلت مدرسة زايد وجامعته بكل معارفها وحكمتها وفنونها وأخلاقها وتقاليدها، وتراثها وتكوينها للرجال الأشدَّاء، وهي ذات المدرسة التي نشأ وترعرع فيها رسول الإسلام محمد (صلى الله عليه وسلم) وخلفاؤه الراشدون، وقادة الفتوحات، وساسة الأمَّة، وقد عمَر هؤلاء جميعاً الأرض، ونشروا فيها العدل والعلم والحضارة.

بين ربوع «الختم» و«الظفرة» و«ليوا» عاش زايد سنواته الأولى، وفيها تعلَّم مبادئ القرآن، وحفظ الشعر والأدب، وبدأ يسمع من أبنائها ورجالها أخبارها المعاصرة وتاريخها القريب والبعيد، فكانت هذه الدراية بالتاريخ والتراث زاده وعتاده وثقافته السياسية، ولا شكَّ في أنَّ الشيخ زايد قد استلهم الكثير من قدراته السياسية من درايته بشخصيات وتاريخ حكَّام آل نهيان الكبار الذين سبقوه، وقد عرف عن شيوخ آل نهيان حبَّ الوطن والشجاعة والحكمة والكرم، وأصالة الرأي.

تعلَّم زايد في الصحراء فنَّ التوفيق بين المُتَنازِعِين، وأهَّلَه ذلك للنجاح حينما تسلَّم أمور العين والمنطقة الشرقية، وأصبحت هذه الهبةُ في شخصيَّته صفةً بارزةً حينما برز على مسرح الأحداث في العالم العربي، وقام بالتوفيق بين مختلف البلدان العربية المختلفة، فكان من أوائل سياسيي القرن العشرين الذين كانوا يجدون بديلاً وطريقاً ثالثاً مبتكراً ومختلفاً عمَّا يراه ويفكّر فيه الطرفان المتنازعان، كما تعلَّم من الصحراء وقبائلها مبدأ الشورى والاستماع للرأي الآخر، وتقدير وجهة نظر أهل الحكمة والمشورة.

تعلَّقت عينا زايد بصفاء السماء، وامتدَّت أحلامُه لإسعاد أبناء هذا الوطن، وتحقيق المستقبل الباسم لهم، وكانت حياته الأولى في الصحراء مدرسةً صقلت إرادته وعزمه، وكان حبُّه للرياضة، والصيد والقنص، وركوب الخيل، سبباً في اشتداد عزيمته وقوَّة بنيته، فساعده كل ذلك على بذل الجهد العظيم الذي كان ينتظره، وصقل فيه الإرادة القوية، وكانت تلك عدَّته في تحقيق آماله وآمال شعبه.

من أبرز صفات الشيخ زايد البساطة، وقد لازمته هذه الصفة في بداية حياته، حيث كان بسيطاً في ملبسه وحياته، يحبُّ الجلوس على الأرض بين إخوانه وضيوفه، وقد استرعت هذه الصفة أنظار كل من التقاه؛ لا سيما الأجانب.

هكذا أخرجت الصحراء هذه الشخصية المتعدّدة الجوانب: زايد الوطني، والمصلح، والقائد العربي المرموق، والغيور على دينه وبلده.. زايد الإنسان الذي قدَّره العالم.

زايد وموهبة القيادة

تنبع موهبة القيادة عند الشيخ زايد من حبّه للناس، ومن سماحة نفسه، فهو أبٌ للشعب يسأل عن أحوالهم، ويعمل الخير لهم، وهذا أحد أسرار التفاف الناس حوله، فقد كان زايد حكيمَ الرأي، هادئَ التفكير، يحبُّ التضحية براحته لإسعاد أبناء بلده، وهو كريم سخي، عطاؤه غامر للقريب والبعيد، وهو رجل المواقف الوطنية في بلده وفي قضايا أمَّته العربية، وكل هذه صفات ضرورية في القائد.

كل من يعرف مستوى التحوُّل السياسي والقيادي بعد تولّي الشيخ زايد مقاليد الحكم عام (1966)، يكتشف جانباً عظيماً من موهبة القيادة في شخصية الشيخ زايد.

وكل من يعرف الحياة السياسية بالإمارات في الماضي، يدرك أيضاً أنَّ قيادة الشيخ زايد وصحبه الكرام من شيوخ الإمارات قد حقَّقت التآلف والمودَّة، فاجتمع الجميع على قيام الاتحاد في لقائهم التاريخي في دبي عام 1968.

نجح الشيخ زايد في صناعة الرجال الذين يعينونه في مهمَّته الصعبة، وهو صبور في صنعته هذه، فقد تَعَهَّد الصغارَ من أبنائه وأبناء الشعب حتى صاروا شباباً، وأسند إليهم المسؤوليات. تعهَّدهم بالعلم والأخلاق بما أنشأ من: مدارس، وجامعات، وكليات، وبما أرسل من بعثات في جميع نواحي الحياة، وها هي دولة الإمارات تفخر بالرجال الأكفاء، الذين يضحُّون لخدمة الوطن.

زايد والعمران

أحبَّ زايد صحراء بلاده، وتعلَّم تراثها وتاريخها، فأعطت هذه الصحراء أهلها الخير العميم من باطن أرضها: أعطت البترول إضافة إلى ما قدَّمت في الماضي من رسالة الإسلام ورجاله العظماء.

أراد زايد أن يقهر هذه الصحراء بحبّه لها، فبالعلم الحديث تنشأ المدن وتتلألأ الأنوار، وبالعلم الحديث يمدها زايد بالماء فينشئ على طول طريق أبوظبي ـ العين واحات خضراء ومدناً لأهل الصحراء، وتصبح العين قلعة العلم واحة خضراء، والرويس قلعة الصناعة واحة خضراء، وفي صحراء بينونة نجد الغابات، وفي جزيرة صير بني ياس مركزاً للمحافظة على البيئة بنباتاتها وحيواناتها وطيورها، هكذا تحوَّلت الصحراء إلى جنَّة خضراء، وارتفعت البنايات في المدن، وزخرت الأرض بالمصانع.

القيادة المبكّرة في العين

يعدُّ الدارسون في علوم السياسة والتاريخ الشيخ زايد بن سلطان قائد مسيرة وزعيم تحوُّل تاريخي بارز في عصره، الرجل الذي أظهرت التحدّيات التي يواجهها بلده ويواجهها عالمه العربي الكبير أنَّه ذو معدن أصيل وصاحب مقدرة سياسية، والمواقف الصعبة التي أهَّلته لأن يحتلَّ مقعداً مرموقاً بين عظماء الرجال ومؤسّسي الدول في التاريخ.

بين عامي 1946 و1966 واحد وعشرون عاماً قضاها الشيخ زايد بن سلطان في منطقة العين، وتعدُّ هذه السنوات فترة ذات أهمية قصوى في مستقبله السياسي، فقد اكتسب في هذه الفترة خبرة رشحته لأن يتولَّى

حكـم إمـارة أبوظبـي، فقـد صقلتـه سـنوات مدينـة العيـن، وقدَّمتـه حاكمـاً مرتقبـاً تنتظـره البـلاد للإصـلاح والنهضـة والتقـدُّم.

عاصـر الشـيخ زايـد في الأربعينيـات والخمسـينيات فتـرة الكشـف عـن البترول، وعُـرِف عنـه صرامتـه في حفـظ النظـام، والضـرب على يـد العابثيـن بالأمـن، وقـد بنـى في هـذه الفتـرة المبكّـرة عـام 1948 قلعـة العيـن رمـزاً للأمـن والنظـام، ولكـنَّ السـرَّ الأكبـر لاسـتتباب الأمـن والنظـام فـي كل إمـارة أبوظبي-رغـم اتسـاعها وامتـداد أراضيهـا- كان محبَّـة القبائـل للشـيخ زايـد بـن سـلطان. كان الحـبُّ الـذي يربطـه بالقبائـل والأهالـي سـبباً رئيسـاً لحفـظ الأمـن والنظـام في التقـدُّم والرخـاء، وللبحـث عـن البتـرول في ذلـك الوقـت، وفـي نهضـة البـلاد وقيـام العمـران فيهـا.

يـدرك المراقـب للأحـداث العربيـة فـي تلـك الفتـرة مـن انتصـارات وانتكاسـات، أنَّ الشـيخ زايـد لـم يقـضِ وقتـه فـي تأمُّـل الأحـداث فقـط، بـل كان يعيـش في منطقـة العيـن ويعمـل في صمـت. لقـد أحسَّ بحاجـة الشـعب إلـى الإصـلاح، ورغبتـه في الحيـاة التي بـدأت تـدبُّ حولـه في منطقـة الخليج العربـي، وكان يـردّد دائمـاً: «أعـدُّ نفسـي ربَّ عائلـة كبيـرة هـي الشـعب، وإنَّ سـعادتي تتحقَّـق عندمـا أرى هـذا الشـعب وهـذه العائلـة في رفاهيـة وسـعادة».

عـرف الشـيخ زايـد قيمـة الاقتصـاد فـي حركـة الإصـلاح، فاهتـمَّ بسـوق مدينـة العيـن ليضمـن لأهـل المنطقـة الشـرقية حاجاتهـم، ولمـا كان المـاء عصـب الحيـاة وسـرَّها فـي الصحـراء، اهتـمَّ بترميـم الأفـلاج القديمـة التـي أفسـدها الزمـن، فقـد أصلـح فلـج الصـاروج، وشـجَّع الأهالـي علـى تطهيـر الأفـلاج، وأمـدَّ المزارعيـن بالإمكانـات، فبـدأ اللـون الأخضـر الـذي يعشـقه يـزداد امتـداداً فـي منطقـة العيـن وسـط محيـط الرمـال الصفـراء.

لا شكَّ في أنَّ اسم الشيخ زايد الذي ذاع أثناء وجوده في العين، واتجاهاته الإصلاحية التي عرف بها وقتئذٍ، وشخصيَّته القياديَّة المحبوبة، كلَّ هذا أهَّله لأن يكون حاكم إمارة أبوظبي، وهي الخطوة التي رشَّحته بعد ذلك، وبما أنجزه في إمارة أبوظبي، وبما قدَّم لإخوانه في الإمارات ليظهر على المسرح السياسي في الإمارات، وليكون الرئيس المنتخب لدولة الإمارات العربية المتحدة عام 1971.

زايد حاكم إمارة أبوظبي

كانت السنوات الخمس التي حكم فيها الشيخ زايد بن سلطان إمارة أبوظبي بين أغسطس (1966)، وديسمبر (1971) مرحلةً مهمَّة في حياته السياسية، فلقد عاصر في بداية حكمه نكسة يونيو (1967)، ثمَّ كانت وفاة الرئيس جمال عبد الناصر في سبتمبر (1970)، وكانت هذه أياماً عربية صعبة بلا شك، وعاصر الانسحاب البريطاني من عدن عام (1967)، ومن الخليج العربي في يناير (1968).

رأى الشيخ زايد أنَّ حل مشكلة إمارة أبوظبي التي تتوق إلى الإصلاح، وحلَّ قضيَّة الأمة العربية بعد نكسة 1967 هو أن يبدأ أولاً بسباق مع الزمن كي تلحق إمارته بركب التقدُّم، بإنشاء أسس الدولة الحديثة فيها. لقد رأى أن يضيء شمعةً في ظلام الأمَّة العربية في ذلك الوقت، وكانت هذه الشمعة هي نهضة إمارة أبوظبي. أدَّت هذه البداية إلى تطوُّرات جديدة، فلم يقف طموحه السياسي عند حدود إمارة أبوظبي، بل راح يرنو إلى تحقيق نصر عربي، وقد أنجز في هذه السنوات الخمس انتصارين كبيرين:

الأول: نهضة إمارة أبوظبي، وكان يرى في تقدُّمها سنداً لبقيَّة الإمارات،

وعوناً لإخوانه حكّام الإمارات، فكانت النتيجة الطبيعية أن يرتبط بهذه النهضة الانتصار الثاني الأكثر أهمّية.

الثاني: تحقيق أمل حكّام الإمارات وأبنائها، وأمل الأمة العربية بقيام دولة الإمارات العربية المتحدة، دولة تؤكّد أنَّ فكرة الوحدة العربية يمكن أن تكون حقيقة، وأنَّ هذا المبدأ ليس سراباً.

كان تولّي الشيخ زايد زمام القيادة في الإمارات بشيراً بحياة جديدة، فالتفَّ الجميعُ حولَه، وفتح ذراعي الإمارة لكل أبنائها لتعميرها ونهضتها، وتكاتف الجميع في إخلاص وحب، وكانت ثمرة ذلك سباقاً مع الزمن كي تلحق الإمارة بركب الحضارة والتقدُّم.

أرسى الشيخ زايد قواعد الإدارة الحديثة بإنشاء الدوائر المختلفة للنهوض بأعباء التعمير، وكانت إمارة أبوظبي في السنوات الخمس من حكمه ورشة عمل كبرى. كانت إرادة زايد ومن حوله من الرجال تُسابق الزمن في السرعة وقد أتاح الشيخ زايد لمجموعة مخلصة من آل نهيان ولعدد من أبناء القبائل تحمُّل المسؤولية الكبيرة معه.

زايد وقيام الاتحاد

يعدُّ قيام دولة الإمارات العربية المتحدة أعظم إنجاز سياسي حقَّقه الشيخ زايد في حياته السياسية وكل ما حقَّقه بعد ذلك من إنجازات عظيمة، هو نتيجة طبيعيَّة لتكوين هذه الدولة على يدي هذا القائد العظيم، بالتعاون مع إخوانه حكّام الإمارات، ونتيجة طبيعيَّة أيضاً لتفاعله مع الأحداث العربية والدولية من موقعه رئيساً لدولة الإمارات.

تميَّـزت سياسـة الشـيخ زايـد بالمبـادرة ومواجهـة المشـكلات، إذ توجَّـه فـوراً إلـى دبـي عقـب إعـلان الانسـحاب البريطانـي، وفـي «السـميح» كان لقـاؤه بالشـيخ راشـد بـن سـعيد آل مكتـوم، رحمـه اللـه، الرجـل الـذي وضـع يـده فـي يـد أخيـه زايـد لتكويـن دولـة الاتحـاد، وفـي 18/ 2/ 1969 سُـوّيت قضيـة الحـدود فـوراً، وأظهـر الحاكمـان الحكمـة والسـماحة فـي كل بنـود الاتفاقيـة، وقـد سـئل الشـيخ زايـد عـن هـذه الاتفاقيـة فقـال: «إنَّنـا نحـرص علـى المـودَّة والأخـوَّة بيننـا، وإنَّـك إذا أخـذت شـيئاً مـن يـدك اليمنـى لتضعـه فـي يـدك اليسـرى فهـل يمكـن أن يقـال: إنَّـك فقـدت شـيئاً؟! نحـن جميعـاً إخـوة وجسـد واحـد».

جـاء فـي بنـود هـذه الاتفاقيـة إعـلان قيـام اتحـاد بيـن إمارتَـي دبـي وأبوظبـي، وجـاء فيهـا أيضـاً دعـوة حـكَّام إمـارات السـاحل وحاكـم إمـارة قطـر، وحاكـم إمـارة البحريـن إلـى الاجتمـاع للنظـر فـي مسـتقبل المنطقـة، وكانـت اسـتجابة الحـكَّام سـريعة، وأعلـن بعـد يوميـن مـن خـلال اجتمـاع بدبـي فـي 25/ 2/ 1968 أنَّـه تقـرَّر قيـام اتحـاد بيـن هـذه الإمـارات العربيـة التسـع، وعندمـا شـعرت إمـارات السـاحل بصعوبـة تحقيـق الاتحـاد بيـن تسـع إمـارات، بـدأ البحـث الجـاد بينهـا لإقـرار صـورة اتحادهـا، وقـد جـرت لقـاءات عـدة لحـكَّام الإمـارات السـبع فـي 28 و29/ 6/ 1971فـي أبوظبـي، وفـي لقـاء الحـكَّام فـي الثامـن عشـر مـن يوليـو فـي ذلـك العـام، تـمَّ التوقيـع علـى وثيقـة إعـلان الدولـة الجديـدة بيـن: أبوظبـي، ودبـي، والشـارقة، وعجمـان، وأم القيويـن، والفجيـرة، باسـم الإمـارات العربيـة المتحـدة، وفـي 10/ 2/ 1972أعلنـت إمـارة رأس الخيمـة انضمامهـا إلـى دولـة الإمـارات، وموافقتهـا علـى دسـتورها المؤقَّـت، فاكتمـل عقـد دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة.

زايد وبناء دولة الإمارات الحديثة

الحديث عن التقدُّم والازدهار، ونمو المدن ونشأة الجامعات، وتقدُّم التعليم، والتقدُّم الرياضي، ورعاية الشباب، وانفتاح الإمارات بالإذاعة والتلفزيون والصحف، وازدياد الرقعة الخضراء، والثورة الصناعية. كل هذا حديث طويل ومعروف، ولكنَّنا سوف نقصر حديثنا على بعض الجوانب المهمَّة فيما جرى من تغيُّرات في دولة الإمارات على يد المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، والمسؤولين، وتكاتف أبناء شعبه في هذا السباق العجيب مع الزمن للتقدُّم ببلدهم، وهذه الجوانب هي:

1. تغيُّر الفكر السياسي نحو الوحدة

حين جاءت الساعة الحاسمة عند إعلان قيام دولة الإمارات العربية المتحدة في 2/ 12/ 1971، وفي غمرة الحماس للدولة الفتيَّة، وبسبب السياسة الحكيمة للمغفور له الشيخ زايد، وإخوانه أعضاء المجلس الأعلى، ونشاط الوزراء والمسؤولين في الوزارات الاتحادية، التي عملت على غرس معنى الوطن الواحد شيئاً فشيئاً، بدأت فكرة الولاء للقبيلة أو الولاء القديم للإمارة تختفي، وحلَّ محلَّها الولاء للوطن كله.

كانت كل أنشطة الوزارات والمسؤولين في دولة الاتحاد تعمل على إحداث هذا التغيير في الفكر السياسي لأبناء الدولة، ولا ننسى الدور المهم الذي قامت به وزارة الإعلام عبر الإذاعة والتلفزيون والمحاضرات، ونشاط المسرح، وإحياء التراث، ودور الصحافة ووزارة التعليم في مناهجها وفي المواد الاجتماعية في غرس هذا المعنى.

لا شك في أنَّ خطوات الشيخ زايد وإخوانه حكام الإمارات كان لها آثارها الواضحة نحو تعميق معنى الوحدة، وكان لخطوة توحيد الشرطة وقوات الدفاع والجيش وإنشاء الجامعات دورٌ مهمٌّ وحاسمٌ في إحداث تغيير في الفكر السياسي نحو الولاء بالجهد المستمر وبالتخطيط، وهذا النجاح من أكبر الإنجازات العظيمة التي حقَّقها الشيخ زايد قائد مسيرة الاتحاد في هذا الوطن.

2. زايد والشورى

في الصحراء تعلَّم الشيخ زايد كيف يتعامل شيخ القبيلة مع الصفوة من عشيرته، وكيف يستشير كبار القبيلة قبل اتخاذ القرارات المهمَّة والمصيرية، وتعلَّم من تاريخ الإسلام كيف كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستشير أصحابه.

وتقديراً من الشيخ زايد لمعنى الشورى، وتقاليد حكم آل نهيان والأجداد في طلب المشورة، تقرَّر في يوليو 1971 إنشاء المجلس الاستشاري الوطني لإمارة أبوظبي، وقال الشيخ زايد في كلمة له في هذا المجلس: «**إنَّ واجب أعضاء المجلس الاستشاري الوطني هو المشاركة في بناء البلاد، وإرساء قواعد الحكم على أسس ديمقراطية سليمة. إنَّ الشعب يتطلَّع إليكم، وثقتنا بكم كبيرة لتحقيق آماله في التقدُّم والعزَّة والرفاهية**».

ويوضّح الشيخ زايد أصول تاريخ مبدأ الشورى في مجتمع إمارة أبوظبي، ويبيّن أن المهم والأساس هو تنفيذ مبدأ الشورى، وقد أوضح هذا بقوله: «**إنَّ المجلس الذي نبدأه اليوم ليس جديداً على مجتمعنا، فقد**

عرفت أبوظبي مبدأ الشورى منذ مئات السنين، وكان الأسلاف يتشاورون في الأمور التي تهمُّ البلاد. بعض الناس يظنُّون أنَّ هذا المجتمع لم يعرف النظام الديمقراطي من قبل، وهذا خطأ، لأنَّ الآباء والأجداد عرفوا الشورى، وآمنوا بها قبلنا. لقد فعلوا ما نفعله نحن الآن، لكن كلاً بطريقته ومفاهيم عصره، وسوف يظل مبدأ الشورى من أهم أسس حياتنا إلى الأبد، وأنا أتطلَّع إلى المستقبل، عندما يأتي الأبناء ويستمرُّون في تطبيق هذا المبدأ بما يلائم حياتَهم وعصرَهم ونُظمَهم».

قامت دولة الإمارات العربية المتحدة وكان أحد أسسها الشورى، فهناك المجلس الأعلى للحكَّام، ومرة أخرى يتحدَّث الشيخ زايد بن سلطان إلى أعضاء المجلس الوطني الاتحادي، ويقول: «**إنَّكم لا تمثّلون أنفسكم، فأنتم تمثّلون أمَّة بكاملها، ومجلسكم هو مجلس أمَّة، وأنتم الحامية الحريصة على مستقبل هذا الوطن. مجلسكم هذا ليس عليه أي رقيب أو وصاية من أي فرد أو جهة، ولقد كفل لكم الدستور الحقوق الكاملة، وهذا يُعطيكم كل الاطمئنان للتعبير. مطلوب منكم الصدق لا التصديق. إنَّ الإنسان في بداية الطريق لا بدَّ أن يخطئ، والتجربة والخطأ هما أساس النجاح، ونحن لا نؤاخذ المخطئ إذا كان مخلصاً وأميناً، فليس المفروض أن يكون المسؤول على صواب دائماً، ولكن المفروض أن يكون مخلصاً وأميناً دائماً**».

ومن جوانب الاهتمام بمبدأ الشورى في دولة الإمارات تشجيع الشيخ زايد ظهور الصحف والمجلات، وإعطاؤها حرية التعبير والرأي، ولم يكن يكتفي بقراءة التقارير لمعرفة أحوال أبناء شعبه وحاجاتهم، بل كان بابه مفتوحاً لجميع المواطنين، ولا يكتفي أيضاً باللقاءات الرسمية الكثيرة

مع أصحاب السمو أعضاء المجلس الأعلى حكَّام الإمارات، وزيارات المواطنين له، بل يذهب إليهم في جولات كثيرة.

ولهذا لم يكن غريباً أن تسود علاقات المودَّة والتشاور بينه وبين أعضاء المجلس الأعلى، وأن تزداد أواصر المحبَّة نحوه من أبناء الإمارات، فهم يرون فيه القائد والأب الكبير الذي يرعى شؤونهم.

3. زايد وقضية التراث

يقول الشيخ زايد: «أدَّت التطوُّرات العلمية والمادية في العصر الحديث إلى اختفاء الجانب الروحي والمعنوي في بعض المجتمعات، حتى أصبح المجتمع الإنساني يسير على ساقٍ واحدة، وما أحوجنا الآن إلى استثمار القوى الروحية التي نملكها، وفي مقدّمتها الإيمان بالله، وهو سلاح أقوى من كل الأسلحة التي عرفتها البشرية».

ويرى الشيخ زايد أنَّ انتصارات المسلمين في الماضي وسرَّ تقدُّمهم يرجع إلى تمسُّكهم بتعاليم دينهم فيقول: «**لقد كان الإيمان سلاح المسلمين الأوائل، الذي قهروا به أقوى الإمبراطوريات، ونحن أمة عريقة وغنية بتراثها وقيمها الروحية، وعلينا أن نوازن بين الاعتبارات المادية والروحية، ولدينا في كتاب الله وسنة رسوله ما يغنينا عن الأفكار والعقائد المستوردة**».

حرص الشيخ زايد بكل الثقة في قدرة الإيمان بالله وبالإسلام على مواجهة مادية الغرب وهجمته الشرسة، وبعد أن عمل بأساليب كثيرة ناجحة على ألا يغلق النوافذ على أبناء الإمارات في معرفة الغرب خوفاً من تأثُّرهم بعاداته وتقاليده، بل أعطى شعبه الحرية كاملة، بعد أن هيَّأ كل الوسائل لتقوية الدين والتراث في النفوس.

تقبَّل الشيخ زايد حضارة الغرب ببساطة ابن الصحراء القوي الحر، وحافظ على تعاليم الدين والشريعة، والأخلاق الإسلامية، وعادات البلاد، ولم يكتفِ برعاية الدين الحنيف وأخلاق العروبة في دولة الإمارات العربية فقط، بل أسهم في هذه الفلسفة الجديدة في بلاد المسلمين؛ إذ بنى المسجد، وبنى إلى جانبه المستشفى، والمدرسة التي تعلّمهم الحرف التي تمكّنهم من العمل في مجتمعهم الناهض.

4. زايد ونهضة المرأة

من أبرز معالم النهضة في دولة الإمارات الدور الذي تحتلُّه المرأة في الإسهام الفعَّال في الحياة العامَّة في الإمارات، وقد بدأ ذلك منذ وقت مبكر حينما اهتمَّ المغفور له الشيخ زايد «طيب الله ثراه» بتعليم البنات مثلما اهتمَّ بتعليم البنين، وهكذا قامت نهضة المرأة على أساسٍ متين من العلم بدينها وتراثها أولاً، ثمَّ العلم بفنون الحياة العصرية، لا سيما ما يلائم طبيعتها.

يقول الشيخ زايد: «**إنَّني أؤيّد عمل المرأة، لأنَّ ديننا الإسلامي الحنيف قد أيَّد ذلك، فما أيَّده الإسلام والرسول نؤيّده. إنَّني أوافق على عمل المرأة في أي مكان تجد فيه احترامها ووقارها، وكل موقع عمل تجده مناسباً لها، وعلينا ألا نتوانى في العمل به، وكما قلت: إنَّني أؤيّد ما يؤيّده الإسلام، وأعارض ما يعارضه الإسلام**».

كان الشيخ زايد يهتمُّ بإعطاء الجيل الجديد من الفتيات والمرأة بصفة عامة فرصة للمشاركة في نهضة البلاد وحمل عبء التقدُّم فيها، فكانت البداية بتأسيس جمعيَّة نهضة المرأة الظبيانية في 2/ 12/ 1973، وسرعان ما تأسَّست في أنحاء الدولة في العام نفسه والعام الذي يليه، جمعيَّات مماثلة في جميع

الإمارات، وكان من الطبيعي أن ينشأ اتحاد نسائي عام يمثّل الحركة النسائية في البلاد في الخارج والداخل، وفعلاً أُسِّس هذا الاتحاد في 27/ 8/ 1975.

يرتكز نشاط الاتحاد النسائي داخل الدولة في دوره البارز في فصول تعليم المرأة، التي أعاقتها ظروفها الاجتماعية عن التعليم، وإلقاء المحاضرات الثقافية والدينية العامة، وعرض الأفلام الصحّية والاجتماعية، وشرح كيفيَّة العناية بالطفل، وإنشاء المكتبات في فروع الدولة، وتعليم المرأة الفنون النسائية كافة التي تهمُّها، ومن ثمار الاهتمام بتعليم المرأة حصول فتيات كثيرات من بنات الإمارات على درجات علمية عالية، وأصبح منهنَّ اليوم أستاذات في الجامعات، ووزيرات ومسؤولات في وزارات الدولة، كما واكب التشريع الدستوري وضع المرأة في الدولة وإعطاءها حقوقها كاملة.

5. زايد والتعليم العالي

من الإنجازات الواضحة في تقدُّم دولة الإمارات العربية المتحدة ما وصل إليه التعليم العالي وتعدُّد صوره، ومنها:

- تأسيس جامعة الإمارات في 10/ 11/ 1977.
- أنشئت في عام 1987 ثلاثة مراكز للبحوث بهدف تنشيط البحث العلمي وربطه بحاجات الدولة، وهي: مركز بحوث الصحراء والبيئة البحرية، ومركز بحوث وتطوير الخدمات التربوية والنفسية، ومركز بحوث التقنية والطاقة.
- في عام 1989 أنشئ مركز بحوث التاريخ والتراث الشعبي.
- كانت الإمارات من أولى الدول العربية التي وجَّهت الاهتمام

إلى علاج النقص في الكوادر الفنيَّة لمواجهة متطلَّبات التنمية بما يمكن من استكمال الحلقة المفقودة في سلَّم التعليم.

- ثمَّ تعدُّد مجالات التعليم العالي، ومنها: جامعة عجمان، كلية زايد العسكرية في العين، كلية الشرطة في أبوظبي ودبي، أكاديمية العلوم البحرية في الشارقة، كلية دبي الطبية للبنات، وجامعة زايد.

6. زايد والمجتمع الثقافي

يعدُّ انتعاش الحركة الثقافية في الإمارات مظهراً للتقدُّم الذي قطعته الدولة، فهو يعني أنَّ الدولة عبرت مرحلة البنية المادية للتمدُّن، وبدأت تدخل في مرحلة الحضارة والثقافة الرفيعة، ويعود الفضل في كل هذا إلى رعاية الشيخ زايد لشخصية المواطن، وشفافية نفسه، وتذوُّقها للحياة والفنون الرفيعة، ودراية المواطن بتراث أجداده واعتزازه بثقافته المتميّزة، والمنفتحة على كل جديد ومفيد يمكن أن نستوعبه ونجعله مسايراً لتقاليدنا.

أسهمت في انتعاش الحركة الثقافية جهودٌ كثيرةٌ في مقدّمتها جهود وزارة الإعلام والثقافة بكل أجهزتها ونشاطاتها، وللصحافة في دولة الإمارات دور بارز أيضاً في انتعاش الحركة الثقافية والفنية في الدولة، وتعدُّد المتاحف العديدة التي ظهرت مراكز إشعاع ثقافي، وأكبر دليل على أنَّ الجهود الرسمية قد آتت أكلها، وأنَّ شباب الإمارات قد وصلوا إلى درجات من النضج والوعي، ظهور العديد من النشاطات والمؤسَّسات الثقافية مثل: جمعية الفنون التشكيلية، واتحاد كتاب وأدباء الإمارات، وجمعية الاجتماعيين في الشارقة، وندوة الثقافة والعلوم بدبي، والمُجمَّع الثقافي.

7. زايد الزعيم العربي

اكتسب الشيخ زايد مكانة عربية مرموقة لمواقفه الواضحة في عدد من القضايا العربية، وأصبح من أبرز الزعماء العرب المعاصرين، ومن هذه المواقف:

- وقف ضخّ البترول في حرب أكتوبر عام 1973.
- دعمه للقضية الفلسطينية ولا سيما الانتفاضة.
- حرصه على وحدة الصف العربي، وتنقية الأجواء بين الإخوة العرب.
- موقفه الثابت من ضرورة وقف الحرب العراقية الإيرانية.
- دوره في عودة مصر إلى الصف العربي.
- موقفه الصامد والقوي في أزمة الكويت.
- مساهمته الفعالة في قيام مجلس تعاون دول الخليج العربي.

8. استراتيجية زايد وأسلوبه

لكل زعيم وقائد سياسي خططه وأهدافه، ولكنَّهم يختلفون في الأسلوب، وقد امتاز الشيخ زايد بن سلطان ببعد النظر والهدوء في التنفيذ، والصبر الطويل لتحقيق الأهداف، وهو يميل إلى السلم في حزم وقوَّة أكثر من ميله إلى العنف في معالجة الخلاف أو تحقيق الأهداف.

لقد صبر طويلاً حتى جاءته المسؤولية عام 1966، وصبر طويلاً حتى تحقَّق قيام دولة الإمارات عام 1971، وصبر طويلاً حتى قام مجلس التعاون الخليجي عام 1981، فهو بعيد النظر، هادئ، ولكنَّه حازم في تحقيق خططه.

9. زايد الأب وصانع الرجال

الآمال العظيمة، والطموحات القومية الكبيرة لا ترى النور حتى يظهر القائد، وتبدو عبقرية القيادة في جمع الرجال وصناعتهم لإنجاز الأعمال الكبيرة. الشيخ زايد هو الأب الكبير للشعب. أعطى التعليم والتربية كل اهتمامه لتخريج الرجال، وأعطى الجيل المتعلّم من أبناء شعبه كل الثقة منذ وقت مبكر، بإعطائهم المناصب القيادية، ولقد أثبتوا أنَّهم أهل للثقة، ونرى منهم اليوم الكثيرين في مواقع المسؤولية الكبيرة.

10. زايد رجل السياسة الواقعية

لم يكن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان يعرف الشعارات، وإنَّما العمل الصالح لوطنه وأمَّته العربية والإسلامية، وهو يحقّق مبادئه بما يبذل من جهد ومال، ونشاط وحركة، وتخطيط هادئ، وبما يقوم به من اللقاءات المباشرة، ولهذا كان من أبرز الحكَّام في العالم وأكثرهم سفراً وحركةً واستقبالاً لرؤساء الدول، يدرس المشاكل العربية والعالمية على أرض الواقع وليس من التقارير المكتوبة أو المنقولة، وتلك صفة اكتسبها من تربيته الأولى في الصحراء؛ حيث يجب أن يعرف المشكلة من أفواه أصحابها.

زايد والمستقبل العربي

حينما نستقرئ مواقف الشيخ زايد خلال أزمة الكويت، ونحاول فهم هذه المواقف نجدها نابعةً من صدق ورؤية، وكلها تؤكّد أنَّه ابن الصحراء الذي تحلَّى بأخلاقها العربية وتقاليدها الإسلامية. إنَّها الأخلاق والصفات التي سمعها ووعاها من الآباء والأجداد.

لقد نظر الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان إلى هذه المحنة القاسية التي يسميها كارثة بقلب المؤمن وفكره، وهدوء الحليم القوي بعون الله -سبحانه وتعالى- ويرسم صورة للمستقبل العربي في أحاديثه ولقاءاته في أثناء الأزمة وبعد النصر، ويرى بأفقه الواسع وصدره الرحب وحسّه القومي وواقعيَّته في النظر إلى الأمور في هذه المحنة، مواقف بطولة سجَّلها التاريخ لدول مجلس التعاون، ومظاهر وفاء ونخوة وتمسَّك بالمبادئ من إخوة وأصدقاء آخرين رغم الخلافات والتناقضات والفرقة العربية.

يقول رحمه الله: «**رغم أنَّ ما جرى في المنطقة قد ألحق الضرر والخسارة بالعالم كله، ولكن رُبَّ ضارةٍ نافعة، وأحياناً الشر يحمل في باطنه الخير، فالله - سبحانه وتعالى- هو العالم بنفعها وفائدتها**»، فلم يرَ الشيخ زايد في المحنة الظلام فقط، بل شاهد بادرةَ الضوء لفجر عربي جديد، لهذا كانت هذه المحنة درساً وعظة، ومراجعة للسياسة، وتجربة رغم قسوتها، فتحت طريقاً جديداً في السياسة العربية يقوم على الواقعية وتصحيح الأفكار والشعارات المغلوطة.

ويمكن أن نستخلص الخطوط الرئيسة لأفكار الشيخ زايد رحمه الله، وتحرُّكاته وسياسته بعد المحنة والنصر، وهذه الخطوات هي:

- اهتمامه أكثر من ذي قبل بالقدرة العسكرية، عندما بدأ استراتيجية الاعتماد على النفس، كما لم ينسَ عون الصديق والحليف، وجعل توثيق التعاون مع الحلفاء قاعدة رئيسة لأمن المنطقة، وعمل الترتيبات الأمنية العربية المطلوبة حسب حاجة دول الخليج ورغبتها، دون إغفال عون الحلفاء إذا دعت الحاجة الطارئة إلى ذلك.

- تأكَّد من أهمّية أمر الشورى والديمقراطية في السياسة الداخلية والخارجية، بدلاً من الدكتاتورية والشعارات الزائفة، وفي هذا الصدد يقول الشيخ زايد: «**علينا كدول إسلامية قبل أن ننتهج الديمقراطية ألا نتعدَّى كتاب الله وسنَّة رسوله الكريم، وإذا كان كتاب الله وسنَّة رسوله ينصَّان على هذه الديمقراطية فأهلاً وسهلاً بها، ونحن عندنا في بلدنا مبدأ الشورى موجود حتى قبل قيام الاتحاد، ليس فقط بين الأسرة الحاكمة، وإنَّما بين الأسرة والشعب، وعندما قام الاتحاد أصبح هناك مجلس وطني، وهذه المواقف كلها لا تخرج عن حدود الله وسنة رسوله**».

- وفي مجال المستقبل العربي أكَّد المغفور له الشيخ زايد في أحاديثه وأفعاله أن لا أحد يفرط في حقوق الشعب الفلسطيني، مثلما لا أحد يريد تقسيم العراق، وإذا فرَّط العربي في أي من هاتين القضيتين فإنَّ ذلك يعني أنَّه فرَّط في نفسه.

- ومن الجوانب المضيئة في أزمة الخليج الإجماع على ضرورة تعديل ميثاق الجامعة العربية، وقد عبَّر الشيخ زايد في تصريحاته عن المرحلة القادمة والتصوُّر الجديد لنشاط الجامعة، حيث قال: «**لا استمرار في الانقسام العربي، لأنَّ هذا الوضع ليس في مصلحة العرب أبداً، ومن الضروري تعديل ميثاق جامعة الدول العربية، وأن يكون القرار العربي بالأغلبية وليس بالإجماع، ولا بد أن تتجاوز الأمَّة العربية الآثار السلبية الناجمة عن أزمة الخليج لمواجهة مستجدَّات الوضع الحالي، ولا بد من تسجيل كل ما مرَّ بالأمَّة العربية من خطأ وصواب حتى نستطيع أن نعالج مشاكل العالم العربي على أساس من المصارحة والواقعية، وعندما ننظر إلى المستقبل نأخذ الدروس والعبرة**».

وقد بدأت دول الخليج ببادرة إسقاط الديون عن الدول العربية الفقيرة، وإلغاء فوائدها، وظهرت فكرة أن تتبع صناديق التنمية في هذه الدول صندوقاً واحداً، تضع فيه كل مساهماتها، وذلك لعون الدول العربية في مشاريعها واقتصاداتها، وأن يتعاون البيت العربي الواحد، ويصبح كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

المؤلف:

د. محمد مرسي عبد الله:

عمل مديراً لمركز الوثائق، ويحمل درجة الدكتوراه في التاريخ من جامعة كامبريدج عام 1975. ألَّف العديد من الكتب أهمها: «أبوظبي بين الأمس واليوم»، و«دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها»، و«الإمارات وعُمان والدولة السعودية الأولى»، و«قراءة حديثة في تاريخ دولة الإمارات العربية المتحدة في ضوء المخطوطات العربية والوثائق البرتغالية والهولندية والبريطانية والمكتشفات الأثرية الأخيرة» (ثلاثة أجزاء). وأعدَّ خريطة أبوظبي الرسمية، وخريطة دولة الإمارات العربية المتحدة الرسمية، وهو عضو اتحاد المؤرخين العرب، والأمانة العامة لمراكز دراسات الخليج، ونشر العديد من الأبحاث في المجلات المتخصصة عن الشرق الأوسط ومنطقة الخليج العربي.